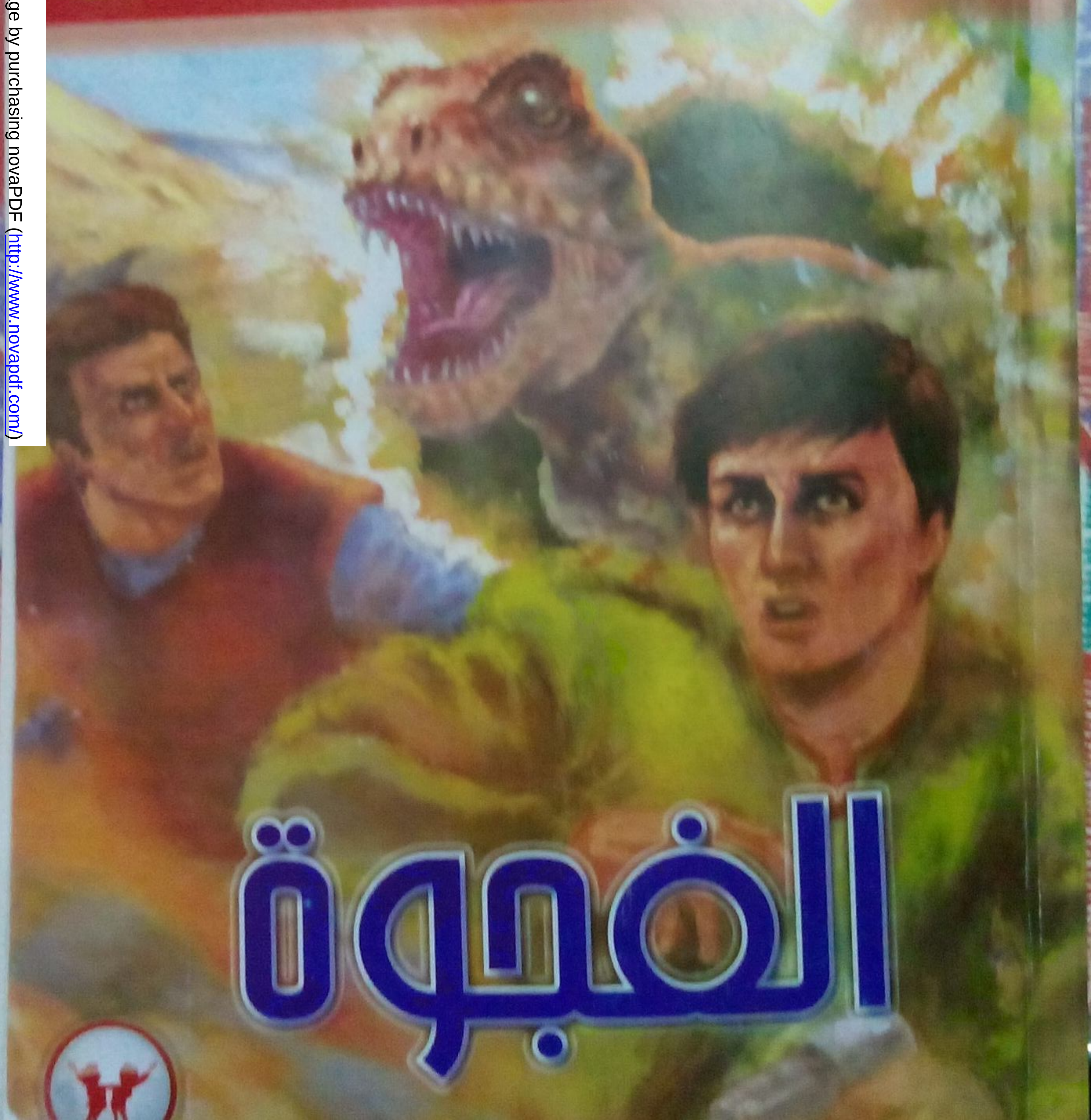
روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

24

د. نبيل فاروق

الفجوة



روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

●

ملف المستقبل

●

مصنف مصـرى مئة فى المئة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

إشراف
الأستـاذ / حمـدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربيـة الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقـاهرة ــ المطابع 10،8 شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ــ منافذ البيع : 10 ، 16 شارع كامل صدقى الفجالة ــ 4 شارع الإسحاقى : بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ــ القاهرة ت : 26823792 ــ 25908455 ــ 22586197 ، فاكس : 202/22596650 ج.م.ع ــ
الإسكندرية 4 شارع بدوى / محرم بك ــ ت : 03/4970840 ــ 03/4970850

سلسلة الأعداد الخاصة

سلسلة جديدة ، تقدمها لك (روايات مصرية للجيب) ، بأقلام مصرية مائة فى المائة ، عبر روايات ذات طابع فريد ، تتميَّز بالإثارة والتشويق والتنوّع ، فى طبعات وإصدارات خاصة متميِّزة ، تضيف إلى مكتبتك شكلاً جديدًا من أشكال الأدب والقصة والرواية ، ولمحة جديدة من ثقافة العصر .

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل ..

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1 ـ المصيدة ...

امتزج أزيز أشعة الليزر ، التى أطلقها مسدس (نور) ، بدوى رصاصات (أكرم) التقليدية ، وكلاهما يعدو عبر ذلك النفق الطويل ، محاولين بلوغ نهايته ، التى يتسلّل منها ضوء قوى ، يمتزج بلون أحمر دموى ، منح المشهد كله صورة مخيفة عجيبة ...

وفى توتر شديد ، هتف (أكرم) :

ـ لم تتبق لى سوى خزانة إضافية واحدة يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ وطاقة مسدسى أيضًا توشك على النفاد .

انطلق من خلفهما صوت مخيف ، يجمع بين الفحيح والزمجرة ، فزادا من سرعتيهما ، وبدت لهما نهاية النفق بعيدة ...

بعيدة للغاية ...

ثم بدأ ذلك الزحف الرهيب ...

جسم ضخم كان يزحف خلفهما ، وهو يضرب بذيله جدران النفق ، وتنطلق من بين أنيابه الرهيبة زمجرة ذات فحيح يثير الرجفة فى الأوصال ...

وفى مشهد أكثر رعبًا ، ألقى الضوء الأخضر ، المنبعث من بداية ذلك النفق ، ظل الزاحف الهائل ، فانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يهتف :

ــ (نور) .... هل تعتقد أننا سننجح فى العودة .

غمغم (نور) ، وهو يفحص مؤشر مقياس الطاقة فى مسدسه :

ــ إننا نبذل قصارى جهدنا .

كان ذلك الضوء الأحمر الدموى قد بدأ يميل إلى الاصفرار ، عند نهاية النفق ، فتابع (نور) فى توتر :

ــ وإن لم نسرع قليلاً ، فلن يمكننا العودة أبدًا .

انطلقا يعدوان فى سرعة أكبر ، حتى أنهما لهثا فى شدة ، ونهاية النفق تقترب ...

وتقترب ...

وتقترب ...

والضوء فى نهايته يتغيـــر ، من الأصفر الداكن إلى الأصفر الباهت ، ثم بدأ يتحول إلى الأبيض ، و ...

وفجأة ، انقطع ذلك الضوء تمامًا ..

لم ينقطع الضوء نفسه ، ولكن حجبه عن النفق جسم آخر شديد الضخامة ...

جسم تحـــرك على قدمين ، ووقـــف ما بين مصدر الضوء ومدخل النفق ...

وتوقف (نور) و(أكرم) عن العدو ، وانعقد حاجبا الأول ، فى حين اتسعت عينا الثانى ...

ومن نهاية النفق ، انطلقت زمجرة رهيبة ...

زمجرة تعنى أن النفق قد صار مسدوداً من نهايته ...

زاحف هائل يأتيهما من خلفهما ...

ووحش رهيب ينتظرهما أمامها ...

وبكل توتر الدنيا ، سحب (أكرم) خزانة مسدسه الفارغة ، وألقاها بعيدًا ، ثم دفع الخزانة الاحتياطية الأخيرة مكانها ، وسحب مشط مسدسه وهو يقول فى عصبية :

ـ ذلك الشىء لن توقفه ثمان طلقات يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ وما تبقى فى مسدسى ، لن يكفى لجرح الآخر .

كان الزاحف يقترب ، وهو يصدر صوته الرهيب ، فى حين مال ذلك الشىء الآخر برأسه ، ينظر إلى (نور) و(أكرم) ، اللذين حوصرا داخل نفق الموت ، فغمغم (أكرم) بكل انفعاله :

ـ أرجو أن يكون مذاقنا مرًّا فى حلقيهما .

غمغم (نور) ، وهو يلقى نظرة على سيف رومانى قديم ، ملقى على مسافة متر منه :

ـ لست أظن هذا يصنع فارقًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ بالنسبة لنا .

مع نهاية حروف جملته ، أطلق ذلك الوحش ، عند نهاية النفق زمجرة وحشية رهيبة ، هبّت معها رائحة قوية نفاذة على وجهيهما ...

وأطلق الزاحف الرهيب صوته المخيف ...

وبدا من الواضح أنه لا مفر من الموت هذه المرة ...

على الإطلاق ...

* * *

العجيب أن بداية كل هذا كانت منذ يومين اثنين فحسب ...

وكانت هادئة ، إلى حد يستحيل أن يوحى بذلك الموقف ...

فالبداية كانت فى منزل (نور) ...

وفى صباح هادئ مشرق جميل ...

للغاية ...

كان الصغار يلهون فى حديقة المنزل ، و(نور) و(سلوى و(رمزى) و(نشوى) يجلسون حول مائدة مستديرة أنيقة على مقربة منهم ...

وكانت جلسة مرحة إلى حد كبير ، و(سلوى) تقول ضاحكة :

ـ لا يمكننى أبدًا استيعاب هذا ...

— استيعاب ماذا ؟!

أشارت إلى ابنتها (نشوى) ، وإلى الأطفال الذين يلهون حولهم ، مجيبة :

— أن يكون لنا أحفاد ونحن فى هذا العمر يا (نور) .

أجابتها (نشوى) فى سرعة :

— الأعجب أن تكون ابنتك فى مثل عمرك يا أمى(*) .

غمغم (نور) :

— كانت تجربة رهيبة .

تدخل (رمزى) فى سرعة ، قائلاً :

— ولا نريد أن نذكرها ، فى يوم كهذا .

ثم أمسك يد زوجته (نشوى) ، مردفًا بابتسامة حانية :

— على الرغم من أننى أعشق ما أسفرت عنه تلك التجربة .

بادلته (نشوى) الابتسام فى خجل ، قبل أن تهتف ، مشيرة إلى مدخل الحديقة فى فرحة :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم 62 ، من سلسلة (ملف المستقبل)

— انظروا من وصل .

كان (أكرم) يعبر المدخل فى هذه اللحظة ، وهو يحمل لفافة كبيرة ، وخلفه زوجته (مشيرة) ، التى هتفت :

— إياكم أن تكونوا قد بدأتم بدوننا .

ضحك (رمزى) ، قائلاً :

— وهل نجرؤ ؟!

وضع (أكرم) اللفافة التى يحملها على المائدة ، وهو يقول :

— لا يمكنهم البدء ، دون الكعكة ، التى أحضرناها معنا .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها ، قائلة :

— فى هذا أتفق معك .

اتخذ (أكرم) و(مشيرة) مقعديهما حول المائدة ، وقالت (مشيرة) مبتسمة :

— رسميًّا ... كم يبلغ عمرك اليوم يا (نشوى) .

ضحكت (نشوى) ، قائلة :

— طبقًا لتاريخ مولدى ، أحتفل اليوم ببلوغى التاسعة من العمر ...

ابتسمت (سلوى) فى حنان :

— ولكن وفقًا للأوراق الرسمية ، هى فى الثالثة والعشرين .

هزّت (مشيرة) رأسها ، قائلة :

— أمر عجيب .. أعتقد أنه لولا عملكم فى المخابرات العلمية ، لما تم الاعتراف بتلك القفزة العمرية المدهشة أبدًا .

ابتسم (نور) ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

— عملنا فى المخابرات العلمية ، جعلنا نعتاد كل عجيب وغريب .

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

— هذا صحيح ... لن أنسى أبدًا ذلك اليوم الذى ...

قبل أن يتم عبارته ، سطع البرق فجأة فى السماء ...

فى سماء صحوة ، بلا غيوم ...

وبكل الدهشـــة ، رفع الكـــل رءوسهم إلى أعلى ، وغمغمت (مشيرة) فى توتر :

— على ذكر الأمور العجيبة ...

دوى هزيم الرعد ، قبـــل أن تتم عبارتها ، فقفزت من مقعدها مضطربة ، قبل ان تحدث فجأة تلك الظاهرة العجيبة ...

للغاية ...

فالسماء الصحوة تلبدت فجأة بالغيوم ...

غيوم رمادية كثيفة ، تجمّعت فى سرعة ، لتحجب الشمس وتغطى وجه السماء ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، هطلت الأمطار ...

أمطار غزيرة كثيفـــة ، كبيرة الحجـــم ، انهمرت على نحو مباغت ، كما لو كانت محتجزة خلف السحب ، ثم أطلق سراحها دفعة واحدة ..

وبسرعة ، راح الكل يجمعون الأطفال ، ويعدون إلى داخل المنزل ، و(أكرم) يهتف :

— ماذا يحدث يا (نور) ؟!..

بدا صوت (نور) حازمًا صارمًا ، لا يخلو من التوتر ، وهو يقول :

ـ أحد تلك الأمور يا صديقى ... أحد تلك الأمور العجيبة ، التى تبدو بلا تفسير ...

وازداد صوته حزمًا وصرامة ، وهو يضيف :

ـ مؤقتًا ...

وخلف زجاج المنزل ، راح الكل يراقب تلك الأمطار المفاجئة العجيبة ، وهى تنهمر ...

وتنهمر ...

وتنهمر ...

* * *

فى مكـــان ما بالصحراء الغربية المصرية ، توقف رتل من السيارات العسكرية ، عند مبنى من ثلاثة طوابق ، بدا منظره الحديث متناقضًا تمامًا ، مع ما يحيط به من رمال وقفار ...

ومن سيارة وسطى ، هبط القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، بصحبة مدير مركز الأبحاث الجديد الدكتور (صفوت) ، وغمغم هذا الأخير ، وهو يتطلع إلى ذلك البناء العجيب :

ـ سيدهشنى أن تنجح هذه التجربة .

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ إننا هنا لاختبار هذا .

مطّ الدكتور (صفوت) شفتيه دون تعليق ، وجذب قمة الكاب الذى يحمى رأسه من أشعة الشمس الساطعة ، وسار خلف القائد الأعلى ، إلى حيث يقف رجل نحيل ، كثيف الشعر أسوده ، على مسافة قريبة من ذلك المبنى ، وهو يرتدى حلة رسمية كاملة ، بدت بدورها متناقضة مع الجو المحيط ، ولقد بدا شديد اللهفة ، وهو يندفع نحو القائد الأعلى ، ويصافحه فى حرارة ، هاتفًا :

ـ سيادة القائد الأعلى .. إنه لشرف كبير أن ألتقيك شخصيًا .. لقد كان هذا حلمى منذ حداثتى .

صافحه القائد الأعلى فى وقار ، دون تعليق على عبارته ، وهو يقول :

ـ دكتور (عدلى) .... نحن هنا لتجربة ابتكارك الجديد .

هتف الدكتور (عدلى) فى حماس :

ثم استدار إلى الدكتور (صفوت) ، وصافحه بنفس الحرارة ، مكملاً :

ـ دكتور (صفوت) ... كم تسعدنى مقابلة الرجل ، الذى فاز بجائزة (زويل) فى العلوم أربع مرات ... لقد قرأت كتابك عن ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ التجربة يا دكتور (عدلى) .

تنحنح العالم النحيل ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا سيادة القائد الأعلى ... بالطبع .

ثم استدار يواجه ذلك المبنى ، قائلاً :

ـ قل لى يا سيادة القائد الأعلى : ما هى أكبر عقبة تواجهكم ، فى نقل القوات من مكان إلى آخر ؟

صمت القائد الأعلى ، وهو يعقد حاجبيه ، وكأنما لا يروق له السؤال من الأساس ، فى حين غمغم الدكتور (صفوت) :

ـ الوقت .

هتف الدكتور (عدلى) فى حماس :

ـ بالضبط ... نقل القوات يحتاج إلى إخلاء الطرق ، وتوفير أماكن الاستقرار ، وإيجاد وسائل نقل للقوات والمعدات الثقيلة ، و...

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، فى صرامة أكثر :

ـ نحن نعلم ما يحتاجه هذا .

غمغم الدكتور (عدلى) :

ـ بالتأكيد .

ثم أخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، يحوى عددًا من الأزرار الملوَّنة ، والتفت إلى المبنى ، قائلاً :

ـ ماذا إذن ، لو أنك تستطيع فعل هذا ؟!

بضغطة على أحد الأزرار ، بدا للجميع وكأن ذلك المبنى يهتز ...

وفى حركة غريزية ، تراجع الكل ، قبل أن يتبيَّن لهم أن المبنى لا يهتز فعليًا ...

بل ينفصل ...

الطابق العلوى منه انفصل عن الطابقين الآخرين ، وطفا فى الهواء ، مرتفعًا عن الطابقين الآخرين ...

وبضغطة زر آخـــر ، سبح الطابق فى الهـــواء ، مبتعدًا عن المبنى ...

وفى نعومة ، تحـــرك الطـــابق منسابًا ، والدكتور (عدلى) يوجّهه ، بلمسات رقيقة على دائرة ناعمة ، فى منتصف جهازه الصغير ، حتى هبط على بعد مائتى متر من المبنى ...

وبعدة ضغطات أخرى ، عاد الطابق يرتفع ، ويسبح بنعومة فى الهواء ، حتى عاد يستقر فوق المبنى ...

وطوال تلك الرحلة ، ران على جميع المشاهدين صمت تام ..

صمت مهيب ، رهيب ، مبهور ...

صمت انكسر دفعة واحدة ، فور عودة الطابق للاستقرار فوق المبنى ، عندما هتف الدكتور (صفوت) فى انبهار :

ـ لقد عثرت على معادلة قهر الجاذبية الأرضية ... أليس كذلك ؟!

بدا الدكتور (عدلى) مزهوًا ، وهو يقول :

ـ الجواب كان كامنًا ، فى نظرية (المجال الوحد) ، التى لم يكملها (ألبرت أينشتين)[*] ... لقـد أعدت كل الحسابات مرة أخرى ، وكشفت الفجـوة فيها ... لقـد كـان (أينشتين) على حق ... كل مجالات القوى تشترك فى قانون واحد ، وتوازن واحد .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى حزم :

ـ دع التفاصيل الفنية ؛ لنناقشها معًا فيما بعد ... سؤالى هو : هل يصلح هذا مع المعدات الثقيلة ؟!

ابتسم الدكتور (عدلى) فى ثقة ، وهو يشير إلى ذلك البناء ، مجيبًا :

ـ الطابق الذى رأيته يسبح فى الهواء ، بكل هذه النعومة ، يبلغ وزنه ثمانين طنًا يا سيادة القائد الأعلى ... ألديك معدات ثقيلة ، تفوق هذا الوزن .

هز القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال فى لهجة توحى بالتفكير العميق :

(*) حقيقة علمية .

— ولكن هناك قاعدة أساسية فى عالمنا ... لا يمكن لنا التعاقد على منتج جديد ، قبل أن نجرى اختباراتنا الشخصية عليه .

مد الدكتور (عدلى) يده إلى القائد الأعلى ، قائلاً فى حرارة :

— اتفقنا .

وبينما كانا يتصافحان ، كان الدكتور (صفوت) يتطلع إلى ذلك البناء ، وفى ذهنه يدور تساؤل هام جدًا ...

(ألبرت أينشتين) لم يكمل نظرية المجال الموحد ؛ لأنه رأى أن لتطبيقها نتائج شديدة الخطورة ، قد تؤدى إلى انهيار الكون كله ...

فماذا عن تطبيقها هنا ؟!

ما الذى يمكن أن تكون النتائج ؟!...

كيف ؟!...

* * *

« أحلم بشهر عسل متميز ... » ...

هتفت (رولا) بالعبارة ، وهى تجلس إلى جوار زوجها (هيثم) ، الذى يقـود سيارته القديمة نسبيًا ، متجهًا نحو (مرسى مطروح) ...

كانا زوجين حديثى الزواج ، يحلمان معًا بشهر عسل جميل اختارا له واحدة من أفضل بقاع (مصر) ...

(مرسى مطروح) ...

ولأنهما من أسر متوسطة ، كانا يمتلكان سيارة صغيرة قديمة ، إلا أنها كانت قادرة على قطع ذلك الطريق الجديد ، الذى يربط (القاهرة) بشاطئ (مرسى مطروح) مباشرة ...

وفى استمتاع ، لوح (هيثم) بيده ، قائلاً :

— لقد اخترت فندقاً يطل على البحر مباشرة .

هتفت (رولا) فى جذل :

— كم أعشق الجلوس فى شرفة ، للاستمتاع بهواء البحر .

أشار بسبابته ، قائلاً :

— أشاركك هذا الشعور .

كان ينطلق بسيارته ، عندما اكفهرت السماء فجأة ، وتلبدت بالغيوم ، فانكمشت (رولا) فى مقعدها ، وهى تقول مستنكرة :

ـ ما هذا ؟!... وفى فصل الصيف ؟!

غمغم (هيثم) ، محاولاً إخفاء قلقه :

ـ ربما هو تغيير مؤقت ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، سطع البرق عدة مرات فى لحظة واحدة ، على نحو يخالف القواعد الفيزيقية المعروفة ...

وفى حركة غريزية ، ضغط (هيثم) فرامل سيارته ، وتوقف بها على جانب الطريق ، فهتفت به (رولا) :

ـ هل ستتوقف هنا ؟!... إنها منطقة مقفرة تمامًا !!

لم يبد حتى أنه قد سمع هتافها ، وهو يسألها فى توتر شديد :

ـ هل لاحظت ما حدث ؟!

سألته فى حيرة :

ـ أتقصد ذلك البرق ؟!

أشار بيده فى حركة عصبية ، وهو يقول :

ـ إنه ليس برقًا طبيعيًا ... لقد انبعث من الاتجاه العكسى .

غمغمت فى حيرة قلقة :

ـ اتجاه عكسى ؟!

التفت إليها ، قائلاً فى عصبية :

ـ نعم ... لقد انطلق من أسفل إلى أعلى ، وليس العكس ... ومن عدة اتجاهات ، فيما يشبه الدائرة ...

انعقد حاجباها ، وانكمشت فى مقعدها أكثر ، وهى تقول مرتجفة :

ـ (هيثم) ... لا تحاول إخافتى ... أنت تعلم أن هذا مستحيل !

هتف :

ـ ولكنه حدث .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اتسعت عيناها عن آخرهما ، واعتدلت على مقعدها فى حركة حادة ، هاتفة :

ـ يا إلهى !... انظر يا (هيثم) !!

لم تكن بحاجة إلى النداء ، فقد كان هو يحدق فيما يحدث أمامه بالفعل ...

فوسط الفراغ ، وعلى بعـد مائة متر فحسب من السيارة ، صنع البرق دائرة كبيرة ، تمتلئ بسواد رهيب ...

دائرة بدت كثقب أسود كبير ، نبت على الأرض ...

وبكل رعبه ، غمغم (هيثم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

حاول أن يعيد تدوير محرك سيارته ، ليستدير بها ، مبتعدًا عن تلك الفجوة الرأسية ، القادرة على ابتلاع حافلة ضخمة ...

ولكن المحرك لم يستجب ...

على الإطلاق ...

حاول مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

ولكن دون جدوى ...

وفى الوقـت نفسـه ، بدأت السـيارة ترتج ارتجاجات منتظمة ، أشـبه باستجابة لوقع قدمى كـائن هائل ، يقتـرب منهما فى بطء ...

وبكل رعب الدنيا ، هتفت (رولا) :

ـ ماذا يحدث يا (هيثم) ؟!... ماذا يحدث ؟!..

ومع نهاية حروف كلماتها ، برز ذلك الشىء فجأة ، متوسط تلك الفجوة الرأسية السوداء الرهيبة ...

وفى رعب يفوق الحد ، اتسعت عينا (رولا) ، وأطلق (هيثم شهقة عالية للغاية ...

ثم انطلقت من حلقيهما معًا صرخة واحدة ...

صرخة حملت كل رعب الدنيا ...

كله ...

بلا استثناء .

* * *

2 ـ الفـارس ...

« أرى الهدف أمامى ... فى انتظار التعليمات ... » ...

نطق طيار الحوامة العبارة ، فى لهجة أرادها عسكرية صرفة ، ولكنها ، وعلى الرغم منه ، امتزجت بحالة الدهشة التى تملكت كيانه ، وهو يحدق فى ذلك ، الذى أطلق عليه اسم (الهدف) ، والذى من الواضح أنه من المستحيل أن ينتمى إلى عالمه ...

أو حتى إلى زمنه ...

وعبر جهاز الاتصال الفائق ، أتاه صوت قائده يقول :

ـ نريد تأكيدًا ، بأن الهدف حى ، وليس .. وليس مجرد آلة ما .

ضغط الطيار زر الفحص الحرارى ، وتطلع إلى شاشة الجهاز أمامه لحظات ، قبل أن يغمغم :

ـ العجيب أنه كائن حى بالفعل ... ولكن ..

قاطعه صوت رئيسه فى حزم :

ـ تعامل مع الهدف .

صمت الطيار لحظة ، انعقد خلالها حاجباه فى شدة ، قبل أن يسأل :

ـ وفقًا لأية وسيلة ؟!... (أ) أم (ب) ؟!

صمت قائده لحظات بدوره ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ دعنا نبدأ بـ (أ) ... على الأقل حتى لا يثور علينا علماء الطبيعة فيما بعد .

دار الطيار بالحوامة دورة كاملة ، جذبت انتباه الهدف ، فتوقف ورفع رأسه إلى أعلى ، ثم أطلق زمجرة قوية ...

زمجرة كان من قوتها أن بلغت مسامع الطيار ، وأثارت رجفة عصبية فى أوصـــاله ، وهـــو الذى طالما واجه مخاطر لا حصر لها ..

وبكل توتره ، اختار السلاح (أ) ، وانطلق مباشرة نحو الهدف ، و ...

وضغط زر الإطلاق ...

ولأنه طيار محترف ، أصابت طلقته الهدف مباشرة ...

وانطلقت من الهدف زمجرة أكثر قوة ...

زمجرة غاضبة ...

ثائرة ...

وحشية ...

وفى حركة حيوانية شرسة ، حاول رفع جسده ، لاصطياد تلك الحوامة التى هاجمته ..

حاول مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

بمنتهى الوحشية والغضب ..

والأهم ... بمنتهى الحيوية والنشاط ...

وبكل دهشته ، هتف الطيار ، عبر جهاز الاتصال الفائق :

ـ الطلقة التى أصبت بها الهدف ، تكفى لإسقاط فيل ضخم ، ولكنها لم تؤثر به على الإطلاق ...

قال (قائده) فى توتر :

ـ حاول مرة أخرى ...

وعبر مناورة جديدة ، سعى الطيــار خلالها لتفــادى مخالب الوحش وغضبه ، أطلق نحوه قذيفة مخدرة ثانية ...

وثالثة ...

ورابعة ...

ولكن الهدف ظل صامدًا ...

قويًا ...

ثائرًا ...

غاضبًا ...

وحشيًا ...

وهنا زفر القائد ، وقال فى توتر :

ـ أعلم أن مركز الأبحاث سيلومنا كثيرًا على هذا ، ولكن ...

صمت لحظة ، ثم أضاف فى قوة :

ـ لا مفر ... أطلق القذيفة القاتلة .

ولكن الطيار لم يطلق القذيفة القاتلة ...

بل ولم يجب اتصال القائد ...

فبكل كيانه ، كان يحدق فى دائرة سوداء كبيرة ، هائلة الحجم ، بدا وكأنها تندفع مباشرة نحو الهدف ...

ونحوه أيضًا ...

وعلى الرغم من أنه طيار مقاتل ، من أولئك الذين لا يشق لهم غبار ، تجمد كيانه كله لحظة ، عجز خلالها عن الحركة ...

فما يراه أمامه كان مذهلاً ...

إلى أقصى حد ...

* * *

حمل صوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية كل توتره ، وهو يشير إلى بقعة على خريطة هولوجرامية كبيرة ، قائلاً :

ـ هنا يا (نور) .

تطلع (نور) فى اهتمام شديد ، إلى البقعة التى أشار إليها القائد الأعلى ، والذى أكمل بنفس التوتر :

– هنا آخر مكان ، انبعثت منه إشارات الحوامة يا (نور) .. بعدها انقطع الاتصال بها تمامًا .. حتى إنها قد اختفت تمامًا دفعة واحدة ، من صور الأقمار الصناعية .. الأهم والأخطر يا (نور) ، هو ما نقلته كاميـــرات الحوامة الرقمية ، قبيـــل ذلك الاختفاء الغامض العجيب .

لوح القـــائد الأعلى بيـــده فى الهـــواء ، فانبعثـــت صورة هولوجرامية أخرى متحركة ، فى منتصف الحجرة ...

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ...

فما نقلته كاميرات الحوامة ، بدا أشبه بالخيال العلمى ، منه بالحقيقة ...

فعبر الطريق الجديد ، الذى أنشئ منذ سنوات قليلة ، كان يسير كائن ، لم يعد له وجود على الأرض ...

« تيرانوصور » (...)

غمغم بها (نور) فى دهشة متوترة ، فوافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

– أجهزة الفحص الحرارى أثبتت أنه (تيرانوصور) حقيقى يا (نور) ... أحد أقوى وأشرس أنواع الديناصورات ، التى سكنت الأرض فى العصر الجوراسى ، قبل ملايين السنين .... (تيرانوصور) حى ، يسير على أرض القرن الحادى والعشرين يا (نور) .

ظلَّ (نور) صامتًا لحظات ، يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن يعتدل ، ويشد قامته ، فى وقفة عسكرية ، ربما حاول عبرها استعادة السيطرة على مشاعره ، وهو يقول فى حزم :

– وأين ذلك الـــ .... (التيرانوصور) الآن ؟!

لوح القائد الأعلى بيده ، مجيبًا فى توتر :

– اختفى مع الحوامة يا (نور) .... اختفى دون أن يترك خلفه أدنى أثر ... لقد قمنا بتمشيط المنطقة كلها ، عبر الأقمار الصناعية و طائرات البحث ... بل أننا أرسلنا فرقة بحث أرضية ، دون أن يسفر هذا عن شىء .

أشار (نور) إلى الصورة الهولوجرامية ، متسائلاً :

– وما هذا الاضطراب ، الذى شمل الصور كلها ، قبل انقطاع البث يا سيدى ؟!

تنهد القائد الأعلى ، مجيبًا :

– مركز الأبحاث العلمية كله ، يحاول البحث عن إجابة سؤالك أيها المقدم .... خاصة وأنه هناك فجوة زمنية قصيرة ، بين اضطراب الصورة ، واختفاء الحوامة وذلك (التيرانوصور) .

غمغم (نور) فى تفكير :

– هنـــاك علاقة واضـــحة إذن ، بيـــن اضطراب الصورة ، والاختفاء الغامض ... شىء ما ســـبب كليهما .... شىء لم ترصده الكاميرات فى الحوامة .

وافقه القائد الأعلى بإشارة من يده ، قائلاً :

– صور الأقمار الصناعية رصدت شيئًا ، لم يتمكن الخبراء من تحديده أو تفسيره .

وبحركة أخرى من يده ، ظهرت صور الأقمار الصناعية هولوجراميًا ، فى وسط حجرة مكتبه ...

وانتبه (نور) فى شدة ..

فالصور الهولوجرامية رصدت بقعـــة سوداء داكنـــة ، ظهرت لنصف دقيقة فحسب ، فى الطريق الجديد ، لتلتهم (التيرانوصور) والحوامة ، ثم تتلاشى دفعة واحدة ...

وبناء على طلب (نور) ، أعاد القائد الأعلى العرض مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

ثم قال (نور) فى حزم :

– سنحتاج إلى نسخة من هذه الصور يا سيدى ؛ حتى يبدأ فريقى عمله .

وضع القائد الأعلى يده على كتف (نور) ، وهو يقول :

– هذا ما نعتمد عليه يا (نور) ... الدكتور (صفوت) وفريقه سيعملونُ على حل شىء من الغموض ، فى مركز الأبحاث ، أما أنت وفريقك ، فكالمعتاد ، ستذهبون إلى هناك .

وشد قامته ، قبل أن يضيف فى حزم :

– إلى مسرح الغموض ... مباشرة .

ولكن ملامح (نور) ظلت جامدة ، دون أن يعلق ...

ففى أعماقه ، كان هناك تساؤل كبير ، يلتهم كل مشاعره ...

وأى غموض يكتنف تلك البقعة ، حيث اختل ميزان الزمن ؟!..

إلى حد مخيف ...

للغاية ...

* * *

اكتظ الطريق الجديد إلى (مرسى مطروح) بالعشرات م
رجال الشرطة والجيش ، وعلماء مركز الأبحاث ، الذين راح
يمشطون المنطقة ، ويزرعون أجهزة الرصد ونظم الاستشع
حول مساحة كبيرة ، وتحرك قائد القوات المشتركة بين ك
هؤلاء ، قبل أن يسأل أحد ضباطه فى صرامة :

ـ هل قام رجالك بكل ما أمرت به ؟!

أدى الضابط التحية العسكرية ، وهو يجيب فى حزم :

ـ تم إغـلاق كافة الطرقات ، التى تؤدى إلى هنـا يا سيا
اللواء ، وصـدر تصريح يشير إلى حدوث هبـوط أرضى ، م
اعتذار عن الإغلاق المؤقت للطريق .

صدر من القائد ما يشبه الزمجرة ، وهو يسأل :

ـ وماذا عن القوات ؟!

أجابه الضابط بنفس الحزم :

ـ تم توزيعها وفقًا للخطة يا سيادة اللواء .

مط اللواء شفتيه دون مبرر ، وأدار عينيه فى المكان ، ا
يشهد حالة من النشاط الفائق ، وغمغم فى شىء من السخط

ـ هذا أشبه بمعسكر للمجانين .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوى فرقعة عجيبة فى الهواء ..

فرقعة من القوة ، حتى إن كـل الأجهزة ، وحتى المع
الثقيلة ، ارتجت معها فى قوة ، جعلت اللواء يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

مع سؤاله هبت على المكان رياح عجيبة ...

رياح قوية ...

باردة ...

سريعة ...

والأعجب أنها رياح هبت لأقل من عشر ثوان ، ثم تو

ومع توقفها ، ران على المكان صمت عجيب ...

صمت لم يشعر أحد الموجودين بمثله قط ...

صمت كامل ...

تام ...

مخيف ...

ثم فجأة ، وبلا مقدمات ، تكونت تلك الدائرة السوداء الهائلة فى الهواء ...

وتراجع الجميع فى ذعر ودهشة واضطراب ...

ومن خلف تلك الدائرة السوداء ، انبعث صوت عجيب ...

صوت قوائم حيوان بعد وقع حوافر جواد يقترب ...

ويقترب ...

ويقترب ...

وفى صمت أكثر مهابة ، حدق الجميع فى الدائرة السوداء ، و ...

وفجأة ، وثب ذلك الحيوان ...

ليس حيوانًا خرافيًا ، أو ضخمًا ، أو عجيبًا ...

وليس حتى أحد زواحف ما قبل التاريخ ...

بل مجرد غزال ...

غزال صغير ، وثب عبر تلك الدائرة السوداء ، كما لو أنه قد انبعث من العدم ...

وشهق الجميع فى دهشة ، أقرب إلى الذهول ...

حتى الغزال نفســه ، توقف مبهوتًا ، ومن عينيـه الواسعتين أطل مزيج من الحيرة والخوف ...

ثم فجأة ، وثب جواد عربى عبر الدائرة السوداء ، وعلى متنه فارس ...

فارس من فرسان عصر المماليك ...

فارس وثب بجـواده عبـر الدائرة ، وهـو يحمـل قوسه ، ويصوبه إلى ذلك الغزال ...

وعندما وجد نفسه فجأة وسط عالم يجهله ، ارتد الفارس كما لو أصابته صاعقة ، وانفلت سهمه من قوسه ، وطاش فى الهواء ...

ثم اختل توازنه ...

وسقط ...

ومع سقوطه ، استرد عـــدد من الرجـــال جأشهم ، واندفـ
نحوه ، يحيطون به ، ويصوبون إليه مدافعهم ، فى حين و
أحد رجال الشرطة ، محاولاً السيطرة على الجواد الجامح ، الذ
أصابه الموقف أيضًا بحالة من الاضطراب الشديد ...

وفى ذعر ملحوظ ، وثب الفارس واقفًا على قدميه ، وهو يد
عينيه فيمن يحيطون به فى عصبية ..

كانت المدافع كلها مصوبة إليه ، وعلى الرغم من هذا ، فـ
استلَّ سيفه ، وصرخ بكل انفعاله :

ـ أى عمل شيطانى هذا ؟!

بدا من الواضح أنه لم يواجه المدافع من قبل ، أو أنه يجهـ
ماهيتها على الأقل ، فهتف اللواء :

ـ أخفضوا أسلحتكم .

خفض الجنود فوهات مدافعهم ، ولكنهم ظلوا يحيطون بالفارس ، الذى رفع سيفه فى الهواء ، صارخًا فى عصبية :

ـ لن تنالوا من (بندقدار) بهذه السهولة .

قالها ، وانقض على أقرب الجنود إليه ، فصرخ اللواء :

ـ أريده حيًّا .

وعلى الرغم من أنه يواجه هذا لأول مرة فى حياته ، تفادى الجندى المدرب سيف الفارس ، ودار حوله فى رشاقة ، ثم هوى على مؤخرة عنقه بجانب راحته فى قوة ...

ودار رأس الفارس فى عنف مع الضربة ...

ولكنه لم يسقط ...

فقط بدا وكأنه لم يعد قادرًا على السيطرة على حركته ، وهو يصرخ فى ضعف :

ـ لن تظفروا بى أيها الشياطين .

تلقى ضربة من جندى آخر ، عقب صرخته ، فدارت الدنيا من حوله ، ولوح بسيفه فى تهالك ، قائلاً فى ضعف :

ـ أيها الـــ ....

ولكن الضربة الثالثة أسقطته فاقد الوعى بين الجنود ، فى نفس الوقت الذى كان فريق العلماء يحاول فيه تسجيل الواقعة

ولكن موجـة كهرومغناطيسية هائلة ، تنبعـث مـن الدو
السوداء الرهيبة ، جعلت هذا مستحيلاً ...

فكل الأجهزة توقفت عن العمل ...

والهواء نفسه كان متأيّنا ، على نحو عجيب ...

ملحوظ ...

ومخيف ...

وفى الوقت ، الذى كان العسكريون فيه يعملون على نق
الفارس وجواده ، إلى عربة خاصة ، كان العلماء يقفو
مبهوتين ، وفى رءوسهم يدور تساؤل واحد ..

ماذا يحدث فى الطريق الجديد ؟!..

ماذا ؟!..

ماذا ؟!...

* * *

« مستحيل !!... » ...

غمغمت (سلوى) بالعبارة ، وهى تراجع كل ما تحت يديها من بيانات ومعلومات ، قبـل أن تلتفت إلى ابنتها (نشوى) ، مكملة :

ـ ذلـك الشىء ، الذى سجلته الأقمـار الصناعية ، يعطينى نتائج عجيبة ، كلما حاولت فحصه .

أشارت (نشوى) إليها ، قائلة :

ـ إحداثياته أيضًا مذهلة .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ ماذا تقول إحداثياته ؟!...

هزت (نشوى) رأسها ، وهى تجيب :

ـ لا شىء .

كانت (سلوى) تهم بسؤالها عما تعنيه ، عندما انبعث من خلفها صوت يسأل :

- ماذا تعنين بكلمة (لا شىء) هذه ؟!

التفتت كلتاهما إلى (نور) ، وغمغمت (نشوى) مجيبة :

- لقد راجعت نتائج الكمبيوتر ثلاث مرات ، واستخدمت أربع برامج جغرافية مختلفة ، والنتيجة واحدة فى كل مرة .

قال فى صرامة :

- وهى؟!

هزت كتفيها مجيبة :

- صفر .

أطل السؤال من عينيه ، على نحو جعلها تتابع :

- كل البرامج أشارت إلى أن ذلك الشىء غير موجود فعليًّا ، أو أنه يحدث خلل فى خطوط الطول والعرض ؛ فعلى الرغم من موقعه ، فالبرامج كلها تشير إلى أنه على خط طول صفر ، وخط عرض صفر أيضًا ، وهذا مستحيل !

قالت (سلوى) فى انفعال :

- هـــذا مدهش بحـــق ؛ لأنه يعطينى نتائج أشبه بالفراغ ... وهذا على الرغم من وجود هالةٌ كهرومغناطيسية ضخمة ، تحيط بمركزه .

جذب (نور) مقعدًا ، وجلس إلى جوارهما ، قائلاً :

- ألديكما تفسير لهذا ؟!

تبادلت كل منهما نظرة مع الأخرى ، قبل أن تجيب (سلوى) فى توتر :

- لم أرصد شيئًا كهذا من قبل قط !!...

غمغمت (نشوى) :

- وأنا أيضًا .

نقل (نور) بصره بينهما ، وقال فى حزم :

- لا بديل عن المواجهة المباشرة إذن .

تساءلت (سلوى) :

ـ أتعنى أن نذهب إلى هناك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لابد أن نرصـد هـذا بأنفسـنا ، خاصة وقـد أبلغونى قبـل وصولى إلى هنـا مباشرة ، أن ذلك الشىء قد ظهر مر أخرى .

سألته (سلوى) فى لهفة :

ـ فى المنطقة نفسها ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ تقريبًا .

كان يهم بقول شىء آخر ، عندما ورده ذلك الاتصال ...

وفى سرعـة ، ورفع ساعته إلى قمـة ، وضغط زرها ، وهو يقول :

ـ هل من جديد يا دكتور (صفوت) ؟!

فى نفس اللحظة ، التى ألقى فيها سؤاله ، كان ذلك اللواء يقول لجنوده ، فى مسرح الحدث :

ـ لن يقترب أحد من هذه الدائرة ، لمسافة مائة متر ، ولكننا سنقيم سياجًا إليكترونيًا حولها ، و ...

قاطعه أحد العلماء فى توتر :

ـ لن يعمل .

التفت إليه اللواء فى غضب ، فتابع العالم بنفس توتره :

ـ هذه الدائرة تصدر ما يفسد كل الأجهزة الإليكترونية .

قال اللواء فى عناد :

ـ سنقيم سياجًا عاديًا إذن ، من الأسلاك الشائكة ، فمن غير الممكن أن ...

قبل أن يتم عبارته ، صدرت فرقعة أخرى فى المكان ...

فرقعة أكثر قوة ، ارتجت لها كل المعدات فى عنف ...

ثم صرخ أحد العلماء ، فى رعب هائل :

ـ رباه !...

واتسعت عينا اللواء عن آخرهما ...

فقد كانت تلك الدائرة السوداء الهائلة تندفع نحوهم ، وتلته كل ما يعترض طريقها ...

وفى سرعة مخيفة ...

للغاية .

* * *

3 ـ الضيـاع ...

حمل صوت ووجه وانفعال الدكتور (صفوت) كل توتره ، وهو يلوح بيده فى حدة ، قائلاً :

ـ فريق علمى كامل يا سيادة القائد الأعلى ... خسرنا فريقًا علميًا كاملاً ، ابتلعته تلك الدائرة السوداء ، التى تنقلها لنا صور الأقمار الصناعية ، دون أن يتركوا خلفهم أدنى أثر .

أجابه القائد الأعلى ، فى توتر مماثل :

ـ نسيت أن تذكر فرقة بحث عسكرية كاملة أيضًا .

هتف الدكتور (صفوت) :

ـ بغض النظر عـن التفاصيل ... لابد أن نعلم أيـن ذهب كل هؤلاء .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ المفترض أن هذه مهمة مركز الأبحاث العلمية ، الذى ترأسه يا دكتور (صفوت) .

قال الدكتور

ـ الجزء العلمى فقط أيها القائد .

شد القائد الأعلى قامته ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ولكن سؤالاً غاضبًا أطل من عينيه ، فتابع الدكتور (صفوت) فى عصبية :

ـ أنتم مخابرات علمية ... أليس كذلك ؟!

غمغم القائد الأعلى فى صرامة :

ـ نحن نبذل قصارى جهدنا .

هم الدكتور (صفوت) بقول شىء ما ، ولكن القائد الأعلى قاطعه متسائلاً فى صرامة :

ـ ماذا عن ذلك الفارس ؟!... هل نجا مما حدث ؟!

ازدرد الدكتور (صفوت) لعابه ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، قبل أن يجيب متوترًا :

ـ إنه مصـــاب بحالة مـــن التوتر الهســـتيرى ... لا يستطيع استيعاب شىء مما يحدث مـــن حوله ، ويصرخ مهددًا ومتوعدًا طوال الوقت ، والخبراء النفسيون يقولون : إنه لا يهذى ، فيما يتعلق بالزمن ، الذى ينتمى إليه .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يفكر فيما سمعه من الدكتور (صفوت) ، قبل أن يشد قامته مرة أخرى ، قائلاً فى حزم :

ـ أحتاج إلى رأى طبيب نفسى متميز .

انعقد حاجبا الدكتور (صفوت) ، وهو يقول فى عصبية :

لعلك لا تعنى ...

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ بل هذا ما أعنيه ... إننى أحتاج إلى أكثر طبيب وخبير نفسى ، يمكننى الثقة فى نتائجه .

ثم عاد يشد قامته ، مردفًا فى حزم أكبر :

ـ إلى الدكتور (رمزى) .... عضو أهم فريق علمى لدينا ... فريق المقدم (نور) .

وعلى الرغم مـــن عصبية الدكتور (صـــفوت) ، إلا أنه لم يعترض ...

إطلاقًا ...

* * *

« إنها فجوة يا أبى ... » ...

قالتها (نشوى) فى اهتمام ، وهى تراجـع نتائج الكمبيوتر الخاص بها للمرة الثالثة ، قبل أن تلتفت إلى (نور) ، قائلة :

ـ فراغ زمانى مكانى ، يصنع فجوة عجيبة .

غمغم (نور) فى توتر :

ـ فجوة تلتهم كل ما يقابلها .

هزّت كتفيها ، قائلة فى توتر :

ـ على ما يبدو .

انعقد حاجباه ، وهو يلتفت إلى (سلوى) ، متسائلاً :

ـ وماذا عنك ؟!

أشارت (سلوى) إلى شاشة جهازها ، مجيبة :

ـ الموجة الكهرومغناطيسية ، التى تطلقها تلك الفجوة ، توازى ما تطلقه ألف قنبلة إليكترونية ، فى عام كامل .

سألها فى توتر :

ـ ما زال السؤال كما هو : لماذا تلتهم كل شىء ؟! .

غمغمت فى حذر :

ـ ربما تحاول إعادة التوازن فحسب .

اعتدل يسألها :

ـ أى توازن؟!

صمتت لحظة ، ثم أجابت ، فى تردّد حذر :

ـ التوازن الزمكانى .

أشار إليها بيده ، قائلاً :

ـ مهلاً ... أتعنين أننا أمام فجوة زمنية مكانية ؟!

هزّت (نشوى) كتفيها ، مغمغمة :

ـ كنت أتصوّر أن هذا يبدو واضحًا .

أجابها (نور) فى سرعة :

ـ كان سيبدو واضحًا وضوح الشمس ، لو أن ما عبر تلك الفجوة ينتمى إلى عصر واحد ، أو زمن واحد .... ولكننا رأينا

(تيرانوصور) ، ثم فارس من فرسان المماليك ، ومن يدرى ماذا سيأتى فى المرة التالية ؟!

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تغمغم :

ــ هل تعتقد أنه ستكون هناك مرة تالية يا أبى؟!

اعتدل (نور) ، وشد قامته ، وهو يجيب فى لهجة عجز عن مداراة توترها :

ــ يبدو لى هذا أمرًا حتميًا ... السؤال الوحيد ، الذى يدور فى ذهنى الآن ، هو : ما الذى سنواجهه ، مع ظهورها التالى ؟!

تبادلت (سلوى) نظرة صامتة مع (نشوى) ...

لم تتبادلا احرفًا واحدًا ، ولكن عيونهما قالت الكثير ...

والكثير جدًا ...

جدًا ...

* * *

لدقيقة كاملة أو يزيد ، وقف (رمزى) صامتًا ، يتطلع إلى ذلك الفارس القديم ، الذى ــ يدور داخل زنزانته كالليث الحبيس ،

ويتوقـف كل بضـع دقائق ، ليصرخ فى لغـة قديمة ، امتزجت مصريتها بأرمينيته (*) :

ــ مهما بلغ سحركم ، لن تقهروا إرادة (بندقدار) ، أيها الشياطين .

غمغم (رمزى) ، من أمام الشاشة ، التى تنقل له ما يحدث :

ــ هذه اللغة ... .

قاطعه الدكتور (صفوت) فى توتر :

ــ الدكتور (حازم) ، خبير اللغات ، فى طريقه إلى هنا .

اكتفى (رمزى) بالجواب ، وهو يواصل التطلع إلى ذلك الفارس ، ثم قال فى حزم :

ــ أريد مجالسته .

غمغم الدكتور (صفوت) :

ــ إنه أمامك .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال فى حزم أكثر :

ــ أريد مجالسته وجهًا لوجه .

حدق فيه الدكتور (صفوت) لحظات ، فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يقول ، فى شىء من الحدة :

– الرجل مصاب بحالة من الهياج الهيستيرى ، ومن الخطر أن ...

قاطعه (رمزى) فى صرامة :

– ألا تظن أن هذا يدخل ، ضمن صحيح اختصاصى يا دكتور (صفوت) ؟!

انعقـد حاجبا الدكتـور (صفوت) فى حنـق ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

– هذا شأنك .

ثم أشار إلى رجال الحراسة ، فقـاد أحدهم (رمزى) إلى زنزانة الفارس ، وسأله عند بابها :

– ألا ترغب فى أن يرافقك أحد رجال الحراسة ؟!

أجابه (رمزى) فى حزم :

– كلا .

مط الحارس شفتيه ، معلنًا عدم رضاه عن القـرار ، إلا أنه فتح باب الزنزانة ، وأفسح الطريق أمام (رمزى) ، الذى التقط نفسًا عميقًا ، ثم دلف إليها ...

وفى توتر شديد ، تراجع الفارس إلى الناحية المقابلة لباب زنزانته ، وحدّق فى (رمزى) وملابسه المدنية ، قبل أن يهتف بكل عصبية :

– حذار أن تقترب منى أيها الشيطان .

رسم (رمزى) على شفتيه ابتسامة ودود ، وهو يقول بأكبر قدر استطاعه من الهدوء :

– لست عدوًا .

انعقد حاجبا الفارس الكثين ، وتوترت كل عضلة فى جسده ووجهه ، على نحو ملحوظ ، وهو يحدق فى (رمزى) فى شك ، فأضاف هذا الأخير فى هدوء :

– أنا صديق .

هتف به الفارس فى حدة :

– كاذب .

غمغم الدكتور (صفوت) فى توتر ، وهو يراقب الموقف على شاشته فى الخارج :

ـ ها قد بدأنا .

أما الفارس ، فتابع بكل عصبية :

ـ الشياطين دومًا تخدع من يحاربها .

تطلع إليه (رمزى) لحظات فى صمت ، قبل أن يسأله فى هدوء :

ـ وهل تؤمن الشياطين بالله سبحانه وتعالى؟!

ارتبك الفـارس ، وهـو يتطلع إليـه فى عصبية ، فتابع (رمزى) ، مشيرًا إلى صدره فى حزم :

ـ أنا أؤمن بالله سبحانه وتعـالى ، وبملائكته ، ورسله ، واليوم الآخر ... أصلى ، وأؤدى كل فرائضى .

ثم مال نحوه ، يسأله :

ـ وماذا عنك ؟!

ضرب الفارس صدره بقبضته ، وهو يجيب فى قوة :

ـ (بندقدار) فارس مؤمن .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ـ هذا ما قدرته منذ البداية .

حدّق فيه الفارس لحظات ، قبل أن يسأله فى توتر :

ـ كيف تأتّى أنك تتحدث العربية .. وبهذه اللهجة الغريبة ؟!.. أأنت روسى أم ألمانى .

سأله (رمزى) فى دهشة :

ـ ولماذا روسى أو ألمانى ؟!

شدّ الفارس قامته ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ منذ أجبرنا الحملة الروسية على الرحيل ، وتولى الشيخ (عمر مكرم) ولاية (مصر) ، والألمان والروس يتسابقان لاستعمارنا .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وغمغم :

ـ الألمان والروس ؟!

استعاد الفارس توتره الشديد ، وهو يقول فى حدة :

لا تتظاهر بأنك لا تعرفهما .

ولم يحاول (رمزى) التعليق بحرف واحد ...

بل ولم يستطع التعليق بحرف واحد ...

فقد أدرك فجأة أنه يواجه أمرًا يفوق كل توقعاته ...

كلها ...

بلا استثناء ...

* * *

فى دوريات لا تنقطع ، راحت طائرات القوات الجوية المصرية تحوم حول الطريق الجديد ، المؤدى إلى (مرسى مطروح) ، وفى كل خمس دقائق ، كان قائد السرب يرسل تقريره إلى غرفة العمليات العسكرية ، قائلاً على نحو روتينى :

ـ لا أثر للهدف حتى الآن .

أجابه قائد القوات الجوية ، من غرفة العمليات العسكرية :

ـ واصلوا التحليق حتى الثامنة مســاءً ، وستقوم الحوامات بنوبة الحراسة الليلية .

دار قائد الأسراب بطائرته ، وهو يقول ، فى حزم عسكرى :

ـ علم وينفذ .

لم يكد ينطق الحرف الأخير من كلمته ، حتى صدرت كالفرقعة فى الهواء ، على ارتفاع مائتى متر من الأرض ، تحت مسار الطائرات تمامًا ... وبكل توتره ، هتــف قائد الأسراب ، عبر جهاز الاتصال :

ـ هناك شىء ما يحدث أسفلنا .

هتف به قائد القوات الجوية :

ـ تراجعوا فى سرعة ، إلى مسافة ثلاثمائة متر .... اكتفوا بالمراقبة فقط ... أكرر ... لا اشتباك بأى حال من الأحوال .... مراقبة فقط .

أطاعته الأسراب المقاتلة على الفور ، وراحت تتصنع شبه دائرة ، ولتلك البقعة ، التى تكوَّنت فيها دائرة سوداء صغيرة ، لم تلبث أن اتسعت فى سرعة مخيفة ، جعلت قائد الأسراب يغمغم فى توتر :

ـ إنها دائرة سوداء ، تتسع فى سرعة .

أتاه صوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية هذه المرة ، وهو يهتف به :

ـ تراجعوا أكثر ... ابتعدوا عن المجال الكهرومغناطيسى الذى تصنعه حولها ... ابتعدوا لمسافة ستمائة متر على الأقل ، و ...

أفسدت حديثه فرقعة أكثر قوة ، كادت تصم أذنيه ، على الرغم من انتقالها عبر أجهزة الاتصال ، فهتفت بكل توتره :

ـ من غرفة العمليات إلى قيادة الأسراب .. هل تسمعنى ؟!.. أجب فورًا .

ولكن قائد الأسراب لم يسمعه فى منطقة الهدف ...

وحتى لو سمعه ، لما أمكنه أن يجيبه ، مع ما يراه أمامه من مشهد مذهل ....

مذهل إلى أقصى حد ... .

أو أكثر قليلاً ...

* * *

حدق الدكتور (حازم) ، خبير اللغات القديمة ، فى وجه (رمزى) بضع لحظات ، فى دهشة مستنكرة واضحة ، قبل أن يلوح بيده ، قائلاً :

اختلاف اللهجات أمر شائع ، فى تلك الفترة من تاريخ (مصر) يا دكتور (رمزى) ... هذا لأنهم كانوا يأتون بالمماليك ، من كل دول (آسيا) و(أوروبا) تقريبًا ، و ...

قاطعه (رمزى) :

عن أية فترة تتحدث يا دكتور (حازم) ؟!

هزّ الدكتور (حازم) كتفيه ، مجيبًا :

ـ وفقًا للهجته واسمه ، والزى الذى يرتديه ، أظننا أمام شخص ينتمى إلى عصر المماليك ، ما بين عامى 1780 ـ 1811م ...

مال (رمزى) نحوه ، قائلاً :

ـ وتتحدث عن الأمر بهذه البساطة ؟!

هزّ الدكتور (حازم) كتفيه ، وقال :

ـ إنه مركــز الأبحــاث ، التابع للمخــابرات العلمية ، ولقد افترضت ، منذ تم استدعائى ، أننى سأواجه أمرًا يفوق المألوف .

سأله (رمزى) ، وهو يتفرس ملامحه فى اهتمام :

ــ ألا يدهشك إذن أنك تقف أمام شخص من زمن آخر ؟!

عاد الدكتور (حازم) يهز كتفيـــه ، قائلاً ، وقـــد بدأ الارتباك يتسلل إلى صوته :

ــ إنها المخابرات العلمية ... أليس كذلك ؟!

نطق الجزء الأخير فى تردُّد وتوتر ، فاعتدل (رمزى) ، مغمغماً :

ــ بلى .

ثم استعاد حزمه ، وهو يضيف :

ــ لقد حدَّدت إذن الزمن ، الذى ينتمى إليه هذا الفارس ، إلى فترة حدثت فيهــا الحملة الفرنسية على (مصر)(*) ، وتولى بعدها (محمد على)(**) ولاية (مصر) !

(*) الحملة الفرنسية على (مصر) (1798 ـ 1801م).

(**) محمد على باشا : مؤسس (مصر) الحديثة ، وحاكمها ما بين عامى 1805 ـ 1848م .. اعتلى عرش (مصر) بعد أن بايعه أعيان البلاد ؛ ليكون واليا عليها ، بعد سقوط سلفه (خورشيد) باشا .

حاول الدكتور (حازم) أن يبتسم ، وهو يقول :

ــ أنت دارس جيد للتاريخ .

عاد (رمزى) يميل نحوه ، وهو يقول فى حزم شديد :

ــ ما قولـــك إذن لو أنه يتحـــدث عـــن حملة روســـية على (مصر) ، وعن (روسيا) و(ألمانيا) باعتبارهما القوتين العظميين فى عصره ... والأهـــم أنه يتحدث عن تولى الشيخ (عمر مكرم) ولاية (مصر) .

حدَّق فيه الدكتور(حازم) ذاهلاً ، وهو يغمغم :

ــ إنه مختل إذن .

قال (رمزى) فى حزم :

ــ وماذا لو أخبرتك أننى ، بكل ما لـــدى من خبـــرة نفسية وطبية ، أستطيع أن أقر ــ رسميًّا ــ بأنه سليم العقل والذهن .

اتســـعت عينا الدكتـــور (حازم) ، وهـــو يغمغم فى صوت مبحوح :

ـ هذا لا يضع أمامنا سوى تفسير واحد .

بدا الاهتمام على وجه (رمزى) ، إلا أن خبير اللغات أضا
فى يأس :

ـ تفسير أجهله ..

ولم يحاول (رمزى) التعليق ...

إطلاقًا ...

* * *

مقاتلة لم يشهد العالم مثلها من قبل قط ...

مقاتلة ذات تصميم انسيابى ، وجسم لامع شديد اللمعان ، حت
إنه يعكس ضوء الشمس ، إلى عينى كل من يحاول النظر إليها ..

تلك المقاتلة العجيبة ، انطلقت فجأة عبر تلك الدائرة السوداء
فى سرعة تفـوق أكثـر السرعات المعروفة ، فى عصر فري
(نور) ...

وفى ذهول ، تمتم قائد الأسراب :

ـ رباه !!... ما هذا بالضبط ؟!...

قالها وتلك المقاتلة العجيبة تدور حـــول أسراب مقاتلاته فى سرعة ، تعجز معها أية مقاتلة عن تتبعها ، حتى إن أحد قادة أسرابه هتف به ، عبر جهاز الاتصال الفائق المحدود :

ـ هل ... هل نشتبك معها أيها القائد ؟!

لم يجبه قائد الأسراب مباشرة ، وإنما تردد لجزء من الثانية ، قبل أن تمتد سبابته نحو زر الاتصال المفتوح ؛ ليوجه رسالة تحذير لتلك المقاتلة العجيبة ، و ...

ولكن قبل أن تبلغ سبابته الزر ، انبعث صوت عبر جهاز الاتصال فى طائرته ، يقول صاحبه ، فى مزيج من الصرامة والتوتر :

ـ من أنتم ؟!... عرفوا أنفسكم .... أنتم تنتهكون مجالاً جويًا محظورًا .

كان النداء عجيبًا ، لا يتفق مع معطيات الأمور ، فضغط ق
الأسراب زر جهاز الاتصال المفتوح ، وهو يقول فى صرامة ،
تخل أيضًا من لمحة عصبية :

ـ عـرف أنت عن نفسك ؛ فأنت مـن ينتهك مجالاً جو
محظورًا .

بدا صوت قائد تلك المقاتلة مضطربًا عصبيًا ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ماذا فعلت مقاتلاتكم عتيقة الطراز بباقى السرب
ولكننى أؤكد لكم أننى سأقاتل حتى آخر قطرة دم فى جسدى
لحماية الوطن من أى اعتداء .

قال قائد الأسراب ، والدهشة تملأ صوته وملامحه :

ـ مقاتلات عتيقة الطراز ؟!... هذه أحدث مقاتلات انضم
إلى القوات الجوية المصرية يا هذا ، و ...

قاطعه هتاف مذعور من قائد تلك المقاتلة ، التى لم تكف
لحظة عن الدوران حول الأسراب ، فى سرعة مذهلة :

ـ القوات الجوية المصرية ؟!... أية خدعة شيطانية هذه ؟!

حاول قائد الأسراب أن يستعيد صرامته ، وهو يقول :

ـ للمرة الثانية ، أنت تنتهك المجال الجوى المصرى ، وسيتم
إنذارك للمرة الثالثة ، ثم ...

قاطعه صوت الرجل فى هلع :

ـ رباه ... مقاتلاتكم العريقة تحمل علم (مصر) بالفعل ....
ماذا حدث بالله عليكم ؟!... كيف وصلتم إلى هنا ؟!

أجابه قائد الأسراب ، وقد تضاعف توتره :

ـ بل كيف وصلت أنت إلى هناك ؟!... لقد عبرت مقاتلتك
فجوة سوداء عجيبة ، و ...

صاح الرجل يقاطعه فى ارتياع :

ـ رباه !!... رباه !!... قل لى يا هذا : أنحن فى عام 2036م
أم ماذا ؟!

قال قائد الأسراب فى دهشة :

ـ كلا بالطبع .... أمامنا سنوات ، حتى نبلغ هذا الزمن .

هتف الرجل :

ـ يا إلهى !... يا إلهى !.... ماذا يحدث ؟!... ماذا يحدث ؟!

ثم دار دورة كاملة بمقاتلته الفائقـــة ، وانطـــلق بسرعته الخرافية نحو تلك الدائرة السوداء ، وعبرها مصدرًا فرقعة قوية وتاركًا خلفه فجوة هائلة من الغموض ...

بلا أى تفسير ...

على الإطلاق .

* * *

4 ـ لغز الألغاز ..

ارتفعت ناقلة الجنود العملاقة عن الأرض فى نعومة ، وراحت تسبح فى الهواء كما لو أنها منعدمة الوزن ، حتى حطت فى رفق ، فوق باخرة حربية كبيرة ، وما إن استقرت ، حتى التفت الدكتور (عدلى) إلى الدكتور (صفوت) ، قائلاً فى زهو واضح :

ـ ما رأيك ؟!

لم يبد الحماس على الدكتور (صفوت) ، وهو يجيب :

ـ ما زلنا نواجه المشكلات نفسها .

حمل صوت الدكتور (عدلى) شيئًا من عصبية ، وهو يقول :

ـ أخبرتك أنها كلها قابلة للحل .

أشار الدكتور (صفوت) بسبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ ولكنها لم تحل بعد ... ما زلنا نعانى من اضطراب فى كل وسائل الاتصال الرقمية ، كلما استخدمت وسيلتك هذه ، مع فقدان القدرة على الرصد ، سوى عبر الأقمار الصناعية .... وحتى صور الأقمار لا تبدو بالوضوح ، المفترض ظهورها به .

تصاعدت النبرة العصبية ، فى صوت الدكتور (عدلى) ، وهو يقول :

ـ الأمر يحتاج إلى بعض التعديلات فحسب .

بدا الدكتور (صفوت) شديد الصرامة ، وهو يقول :

ـ وإلى أن تتم تلك التعديلات ، وتختفى كل المشكلات لا يمكننى اعتماد جهازك الجديد .

حمل وجه الدكتور (عدلى) وصوته كل غضب الدنيا ، وهو يواجهه ، قائلاً :

ـ بم يمكنك أن تصف هذا ؟!

قال الدكتور (صفوت) بنفس الحزم :

ـ لست أفهم سؤالك .

هتف الدكتور (عدلى) فى حدة :

ـ ألا يبدو من الواضح أنه مزيج من الغيرة والحنق ؟!

ارتفع حاجبا الدكتور (صفوت) فى دهشة مستنكرة ، وهو يقول :

ـ غيرة من ماذا ، وحقد على ماذا ؟!

لوح الدكتور (عدلى) بذراعيه فى غضب ، هاتفاً :

ـ غيرة من عالم ، لا ينتمى إلى مركز الأبحاث الذى ترأسه ، ولكنه كسر قانون الجاذبية ، أصعب وأدق قوانين القوة فى الكون ، وحقد على نيله هذا الشرف من دونكم .

حدق فيه الدكتور (صفوت) ، وكأنه يحدق فى مجنون ، ثم لم يلبث أن اعتدل وشد قامته ، قائلاً فى صرامة :

ـ عملنا فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، أكثر أهمية وخطورة ، من هذه النزعات البدائية السخيفة يا دكتور (صفوت) ، وكل طاقم العلماء لدينا ، انضم إلينا عقب إثبات عبقريته وموهبته فى مجاله .

ثم علا صوته ، وهو يضيف :

ـ وأنت غاضب لأن عملك لم يكتمل ، وما زال غير صالح للاستخدام الحربى والعسكرى ، أو حتى لأعمال التشييد والبناء ، بسبب ما يحيط به من مشكلات طاقة ، وبدلاً من أن تعترف بهذا ، وتسعى لإيجاد حلول علمية له ، تغضب وتثور ؛ لأننا نواجهك بالعيوب والمشكلات ، التى تحول بيننا وبين اعتماد جهازك .

صاح الدكتور (عدلى) ، ملوحًا بذراعه كلها :

ـ لقد كسرت قانون الجاذبية ، ولست أحظى منكم بالتقـ الكافى .

بدا الدكتور (صفوت) أكثر صرامة ، وهو يقول :

ـ المهم أن تكون لهذا فائدة ، وإلا فهو لا يساوى شيئًا ... تمامًا مثل تجربة (فيلادلفيا) ، التى أجرتها البحرية الأمريكية عام 1943م ؛ لإخفاء السفينة (DE-173) ، باستخدام نظرية المجا الموحد نفسها .... التجربة نجحت فى إخفاء السفينة ، ولكنها أفقدتها قدرتها على القتال ، وأصابت كل بحارتها بخلل ذهنى واضطرابات نفسية عنيفة ، وبهذا كشفوا سر الإخفاء ، ولكن من دون أية فائدة عملية(*) .

على الرغم من الغضب الشديد ، الذى انحفر على ملامح الدكتور (عدلى) ، وأطل من عينيه ، بدا صوته هادئًا على نحو متناقض ، وهو يقول :

ـ إذن فأنتم ترفضون اعتماد كشفى هذا !

شد الدكتور (صفوت) قامته أكثر ، وهو يجيب فى حزم :

(*) حقيقـــة .

ـ بمشكلاته الحالية نعم ، أما لو ...

قاطعه الدكتور (عدلى) فى شراسة :

ـ لا يوجد لو ...

ثم أخرج الريموت كنترول من جيبه ، مردفًا فى حدة :

ـ ومن حسن الحظ أننى قد وضعت هذا التعنت فى حساباتى .

قالها ، وضغط زرًّا أسود اللون ، فى طرف الجهاز ...

ومع ضغطته ، حدثت سلسلة من الأحداث العجيبة ...

قاعدة ناقلة الجنود العملاقة صدرت منها فرقعة قوية ...

جهاز النقل المضاد للجاذبية انفجر سطحه ، واشتعلت فيه النيران دفعة واحدة ...

حتى جهاز الريموت كنترول فى يده ، انطلقت منه دفعة من دخان أسود كثيف ، قبل أن يلقيه هو أرضاً ، فى مقت وكراهية عجيبين وحشيين ...

وفى غضب صارم ، هتف به الدكتور (صفوت) :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

بدا الدكتور (عدلى) صارمًا عصبيًّا شرسًا ، وهو يجيب :

ـ أتلفت كل شىء .

تراجع الدكتور (صفوت) كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ هل جننت يا رجل ؟!

أجابه فى وحشية :

ـ ما دمتم ترفضون كشفى ، فلن تحصلوا على ذرة واحدة منه .

انعقد حاجبا الدكتور (صفوت) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ما فعلته أقرب إلى الخيانة العظمى يا رجل .

صرخ الدكتور (عدلى) فى جنون :

ـ حاكمونى إذن .

ثم اندفع يغادر المكان كجلمود مشتعل ، تاركًا الدكتور (صفوت) خلفه ، مع قدر هائل من الدهشة والاستنكار ...

قدر بلا حدود ...

بالفعل ...

* * *

« علم (مصر) !! ... » ...

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يقول لقائد الأسراب المقاتلة :

ـ أأنت واثق مما تقول يا رجل ؟!

أجابه قائد الأسراب فى حزم :

ـ الطاقم كله يمكن أن يشهد بهذا يا سيدى .... المقاتلة التى خرجت من تلك الدائرة السوداء ، تفوق فى قوتها وسرعتها أحدث وأقوى ما لدينا من مقاتلات ... بل لن أبالغ لو قلت : إنها تسبقنا بثلاثة أجيال تكنولوجية على الأقل ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كان جناحاها يحملان علم (مصر) ، وشعار القوات الجوية المصرية ... حتى قائدها ، كان يتحدث العربية بلهجة مصرية خالصة .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم التفت إلى (نور) ، قائلاً :

ـ هل سمعت هذا جيدًا يا (نور) ؟!

غمغم (نور) ، الذى يقف صامتًا منذ البداية :

ـ كل حرف منه يا سيدى .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ وهل من تفسير ؟!

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

سأله القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ولماذا أجبت بهذا الخفوت ؟!

اعتدل (نور) فى وقفته ، وأجاب :

ـ لأن التفسير يتجاوز حدود العقل والمنطق .

استدار إليه القائد الأعلى بجسده كله ، قائلاً :

ـ أريد سماعه .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ وفقًا لكل المعلومات المتاحة ، عبر المشاهدات ، واستجواب (رمزى) لذلك الفارس ، والحديث المسجل مع قائد تلك المقاتلة المتقدمة ، فنحن نواجه ...

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـ فجوة زمكانية .

غمغم قائد الأسراب فى دهشة :

ـ فجوة ماذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ فجوة زمنية مكانية ، بين عالمنا وعوالم أخرى .

قال القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ أتقصد أزمنة أخرى؟!

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل عوالم أخرى ... عوالم موازية لعالمنا هذا .

انعقد حاجبا قائد الأسراب ، وهو يقول فى توتر :

ـ ما معنى هذا بالضبط ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ معناه أنه على سربك مواصلة طلعاته الجوية ، حول تلك المنطقة ، مـن طـريق (مرسى مطروح) الجديد ؛ لرصد أية حوادث جديدة .

شد قائد الأسراب قامته ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

— فوراً يا سيادة القائد الأعلى .

انتظر القائد الأعلى ، حتى انصرف قائد الأسراب لتنفيذ الأمر ، ثم التفت إلى (نور) ، متسائلاً :

— كيف قدرت هذا الأمر العجيب يا (نور) ؟!

قال (نور) فى اهتمام :

— العوالم المتوازية أمر ثبت علمياً ، عام 2007م يا سيدى[*]، ولقد كان من الممكن أن أتصور أنها فجوة زمنية فحسب ، وبخاصة مع ظهور (تيرانوصور) ، ثم فارس من عصر المماليك ، وبعدها مقاتلة مستقبلية ، ولكن ما أدلى به ذلك الفارس جعل الأمر يبدو واضحاً ، على الرغم من غرابته ، فالفارس أشار إلى حملة روسية ، وليس حملة فرنسية ، وإلى (ألمانيا) و(روسيا) باعتبارهما القوتين العظميين فى عصره ، وليس (إنجلترا) و(فرنسا) ، كما كان الأمر فى عالمنا ، ثم أنه تحدث عن ولاية (عمر مكرم) وليس (محمد على) .... هذا جعل من الواضح أنه ينتمى إلى عالم آخر ... عالم مواز لعالمنا ، له تاريخ يختلف .

(*) حقيقة علمية

قال القائد الأعلى فى توتر :

— ربما يكون تفسيرك هذا منطقياً يا (نور) ، من الناحية العلمية ، على الرغم من غرابته وصعوبة استيعابه ، إلا أنه لا يجيب أهم سؤال .

أشار (نور) بسبابته ، مجيباً :

— أين اختفى الجميع ؟!... أليس كذلك ؟!

قال القائد الأعلى فى حزم :

— بلى .

شد (نور) قامته ، مجيباً :

— تلك الفجوة ابتلعتهم .

قال القائد الأعلى على الفور :

— إلى أين ؟!... والأهم : كيف يمكن استعادتهم ؟!

حمل صوت (نور) شيئاً من توتره ، وهو يجيب :

— كل ما عبر الفجوة ينتمى إلى عصر مختلف ، وربما إلى عالم مختلف يا سيدى ، وهذا يضعنا أمام آلاف الاحتمالات .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ لن نتخلى عمن ابتلعتهم تلك الفجوة يا (نور) .

قال (نور) فى حزم مماثل :

ـ بالتأكيد يا سيدى ... أعـدك أننى وفريقى سنبذل قصارى جهدنا ، حتى نصل إلى أجوبة لهذا .

ردد القائد الأعلى :

ـ فقط أجوبة .

قال (نور) فى قوة :

ـ الأجوبة ستكون طرف الخيط لاستعادتهم فحسب يا سيدى .. هذا وعد .

نطقها وهو يدرك فى أعماقه ، أنه قد لا يفى بهذا الوعد ... أبدًا ...

* * *

فى عصبية واضحة ، راح (أكرم) يتحرك فى عربة الفريق ، على نحو أزعج (سلوى) ، التى هتفت به :

ـ (أكرم) .... إنك تمنعنا من التركيز .

توقف عن الحركة ، والتفت إليها ، قائلاً فى عصبية :

ـ ماذا أفعل إذن ؟!

التفتت إليه (نشوى) ، متسائلة فى دهشة :

ـ أهذا مبرر ؟!

لوح بيده فى حدة ، هاتفًا :

ـ أنت و(سلوى) تبحثان عن تفسير علمى لتلك الدائرة السوداء ، و(رمزى) يقضى وقته مع ذلك الفارس ، و(نور) مع القائد الأعلى ، يتابع التقارير والمعطيات الجديدة ، فماذا عنى أنا ؟!... هل سأجلس هنا كأرملة عجوز ؟!

قالت (سلوى) ، محاولة تهدئته :

ـ لم يحن دورك بعد يا (أكرم) .

هتف :

ـ أى دور؟!

أجابه (نور) ، وهو يدلف إلى العربة :

ـ ربما يكون الدور الحاسم يا صديقى .

لسبب ما ، هدأت أعصاب (أكرم) ، فور سماعه صوت (نور) ، وسأل هذا الأخير فى لهفة :

ـ هل توصلت إلى شىء ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ استنتاج يا صديقى .... مجرد استنتاج .

أجابه مخلصًا :

ـ دقة استنتاجاتك تبلغ دومًا حد الحقيقة المطلقة يا (نور) .

قبل أن يعلق (نور) على عبارته ، قالت (نشوى) :

ـ أما نحن ، فقد توصلنا إلى شىء ما .... علميًّا .

التفت الاثنان إليها ، فقالت (سلوى) مكملة حديثها :

ـ لقد راجعنا خرائط التوزيع الكهرومغناطيسى لإدارة الطقس ، وأمكننا رصد ظاهرة ، ترتبط بظهور تلك الدائرة السوداء .

تساءل (نور) بكل الاهتمام :

ـ أية ظاهرة ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ ارتفاع فى مستوى الطاقة الكهرومغناطيسية تدريجيًا ، فى البقعة التى تظهر فيها تلك الدائرة السوداء ، وذلك الارتفاع يسبق ظهورها بسبع وخمسين ثانية بالضبط .

تساءل (أكرم) فى حيرة :

ـ وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

قبل أن تجيبه إحداهن ، سأل (نور) فى اهتمام :

ـ أيعنى هذا أننا نستطيع استنباط نقطة ظهورها التالية ؟!

أجابته (سلوى) :

ـ هذا بالضبط ما أردنا قوله ؛ فلو أننا تابعنا خرائط الطقس الكهرومغناطيسية ، عبر طريق (مرسى مطروح) ، سيمكننا رصد ذلك الارتفاع فى المنسوب ، والذى يعنى ظهور تلك الدائرة ، بعد سبع وخمسين ثانية من الارتفاع .

كان (نور) يهم بالتعليق ، عندما قالت (نشوى) فى توتر ، وهى تطالع شاشة الكمبيوتر الهولوجرامية أمامها :

— خمس وخمسون ثانية .

التفت إليها الكل فى تساؤل ، فالتفتت إليهم بدورها وتضاعف التوتر فى صوتها ، وهى تضيف :

— فلقد بدأ ذلك الارتفاع الكهرومغناطيسى بالفعل .

عقب قولها ، ران على العربة صمت مهيب ...

فقولها هذا كان يعنى قرب مواجهة جديدة ...

مواجهة مع فجوة سوداء غامضة ...

فجوة لا يدرى أحدهم ماذا يمكن أن يأتى عبرها هذه المرة ؟!...

ماذا ؟!...

ماذا ؟!...

* * *

« ليس هذا هو السؤال الصحيح ... » ...

ألقى الدكتور (عدلى) عبارته هذه بكل الصرامة ، فتطلع إليه الرجل الواقف أمامه لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء :

— كنت أتصور أنه السؤال الوحيد الصحيح ... لقد أتيت تعرض علينا كشفك الجديد ، وسألناك كم تطلب ثمنًا له ؟!

قال الدكتور (عدلى) فى تعال :

— الثمن ليس المشكلة ؛ فأنتم ستدفعون ما أطلبه ، أيًا كان .

صمت الواقف أمامه بضع لحظات أخرى ، وهو يحدجه بنظرة ثاقبة ، وكأنما يحاول سبر أغواره ، ثم لم يلبث أن قال فى بطء :

— ما الذى تنشده بالضبط يا دكتور (عدلى) ؟!

بدا (عدلى) أشبه بالمجنون ، وهو يرفع يده فى حركة مسرحية ، قائلاً فى صوت جهورى :

— أن تعترفوا بقوة هذا الكشف العظيم .

حدجه الواقف بنظرة طويلة أخرى ، قبل أن يبتسم قائلاً :

— ومن يمكنه إنكار عظمة كشف كهذا أيها العبقرى ... إنه أعظم كشف فى تاريخ العلم الحديث ... كشف قادر على تغيير وجه الكون ، وتطوير خريطة العلم .

كان التملق واضحًا ، فى كلمات الرجل وصوته ولهجته ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تألقت عينا الدكتور (عدلى) على نحو عجيب ، وهو يقول :

— إنه حلم العلماء منذ الأزل .... وأنا .... أنا جعلت هذا الحلـ
حقيقة واقعة .

ضغط حروف كلمة (أنا) بنرجسية واضحة ، فتسلل الغيـ
إلى صوت الواقف أمامه ، وهو يقول :

— ولكن لدى سؤال آخر أيها العبقرى .

أشار (على) بيده فى زهو ، قائلاً :

— سل ما بدا لك .

حمل صوت الرجل كل اهتمامه ، وهو يقول :

— هل تقتصر فائدة هذا الكشف على مضمار النقل فحسب ؟!

سأله الدكتور (على) فى حذر :

— ماذا تعنى ؟!

أشار الرجل بيده ، قائلاً :

— أعنى أنه لا يصح أن يقتصر كشف عظيم كهذا ، على مجال بسيط مثل النقل .

ثم مال نحو الدكتور (على) ، مضيفًا فى لهجة خاصة :

— ينبغى أن يتحول إلى سلاح جبار .

انعقد حاجبا الدكتور (على) ، وهو يغمغم :

— سلاح ؟!

اعتدل الرجل ، قائلاً فى حزم :

— بالتأكيد ... سلاح يضاعف قيمته ألف مرة .

بدت علامات التفكير العميق على وجه الدكتور (على) ، وهو يكرر :

— سلاح ؟!

اعتدل الرجل ، قائلاً فى حزم :

— أهذا ممكن ؟!

استغرق (على) لحظات أخرى فى التفكير ، قبل أن يجيب فى حزم :

— بكل تأكيد .

التمعت عينا الرجل ، وهو يقول :

— عظيم ... فى هذه الحالة لن نختلف أبدًا .

تصافحا فى قوة وحرارة ، قبل أن يضيف الرجل :

ـ وسيكتب التاريخ اسمينا معًا ، فى هذا اللقاء ، الذى سيغ[illegible] ميزان القوة فى العالم .... العبقرى الدكتور (عدلى) ، ونا[illegible] مدير المخابرات الإسرائيلية الجنرال (شاميت) .

قالها ، والتمعت عيناه أكثر ...

وأكثر ...

وأكثر .

• • •

5 ـ الضربة الأولى ...

« طائرة بلا طيّار ... » ...

نطق (نور) العبارة فى حزم ، فالتقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى قلق :

ـ وفقًا للتقارير التى لدى ، فتلك الفجوة تصنع حولها كرة من الموجات الكهرومغناطيسية الفائقة ، التى تعوق عمل أية أجهزة رقمية أو إليكترونية ، فكيف سيمكننا إرسال طائرة بلا طيار عبرها ، ثم رصد ما تنقله إلينا ؟!

شدّ (نور) قامته ، وهو يجيب :

ـ الطائرة التى سيتم إرسالها ليست طائرة عادية يا سيدى ... إنها طائرة صممتها ابنتى (نشوى) ، منذ ما يقرب من عام ، كجزء من رسالة دكتوراة خاصة بها .

غمغم القائد الأعلى :

ـ تلك الخاصة بمشروع [illegible]

تصافحا فى قوة وحرارة ، قبل أن يضيف الرجل :

ــ وسيكتب التاريخ اسمينا معًا ، فى هذا اللقاء ، الذى سيغير ميزان القوة فى العالم .... العبقرى الدكتور (عدلى) ، ونائب مدير المخابرات الإسرائيلية الجنرال (شاميت) .

قالها ، والتمعت عيناه أكثر ...

وأكثر ...

وأكثر .

* * *

5 ـ الضربة الأولى ...

« طائرة بلا طيّار ... » ...

نطق (نور) العبارة فى حزم ، فالتقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى قلق :

ــ وفقًا للتقارير التى لدى ، فتلك الفجوة تصنع حولها كرة من الموجات الكهرومغناطيسية الفائقة ، التى تعوق عمل أية أجهزة رقمية أو إليكترونية ، فكيف سيمكننا إرسال طائرة بلا طيار عبرها ، ثم رصد ما تنقله إلينا ؟!

شدّ (نور) قامته ، وهو يجيب :

الطائرة التى سيتم إرسالها ليست طائرة عادية يا سيدى ... إنها طائرة صممتها ابنتى (نشوى) ، منذ ما يقرب من عام ، كجزء من رسالة دكتوراة خاصة بها .

غمغم القائد الأعلى :

ــ تلك الخاصة بمشروع الحرب الرقمية .

أشار (نور) بسبابته ، مجيبًا :

— بالضبط ... أنت تعلم يا سيدى أن كل الدراسات العسكرية والأمنية ، تشير إلى أن الحرب القادمة ستكون حربًا رقمية .. وأن أول ما ستبدأ به هذه الحرب ، هو إطلاق قنبلة كهرومغناطيسية ، فى سماء العدو ، توقف عمل كل الأجهزة والأسلحة الرقمية(*) .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفقًا ، فتابع (نور) :

— ولهذا ابتكرت (نشوى) طائرة ميكانيكية بلا طيار ، تشبه طائرات الاستطلاع ، فى الحرب العالمية الثانية پC لها درع من الرصاص ، يعزلها تمامًا عن أية موجات كهرومغناطيسية خارجية ، ولكنه يحوى فى الوقت ذاته مجسّات دقيقة ، ترصد شدة الموجات الكهرومغناطيسية ؛ بحيث يرتفع الدرع أو ينخفض آليًا ، استجابة لدرجة شدة الموجات الكهرومغناطيسية .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

— وكيف يمكن لتلك الطائرة رصد ما يحدث ، عبر تلك الفجوة ؟!

(*) حقيقـة .

أجاب (نور) على الفور :

— باستخدام آلة تصوير سينمائية قديمة ، ميكانيكية بالكامل ، يتم تشغيلها آليًا ، بوساطة برنامج خاص ، داخل جسم الطائرة ، ومعزول تمامًا عن غلافها الرصاصى الخارجى .

صمت القائد الأعلى لحظات ؛ لاستيعاب ما قاله (نور) ، ثم قال فى حزم :

— وهل سيمكننا استخدام تلك الطائرة التجريبية فى وقت قريب ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب :

— يمكننا استخدامها ، خلال سبع عشرة دقيقة ، لو أصدرت سيادتك أمراً بالموافقة على إجراء التجربة الآن .

سأله القائد الأعلى :

— أيعنى هذا أنه لديكم نموذج مكتمل منها يا (نور) ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

— بالضبط ... النسخة التجريبية ، التى أجرت عليها (نشوى) اختباراتها الأولية .

تساءل القائد الأعلى فى قلق :

ـ وهل يمكن أن تصلح ، فى هذا الموقف الدقيق ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ ليس لدينا ما نخسره يا سيدى ، (نشوى) أمكنها استنتاج موعد ومكان ظهور تلك الفجوة ، التى لم تنقل لنا سوى حفنة من حجارة بركانية ، فى المرة الأخيرة ، وفى ظهورها التالى سنكون فى انتظارها بإذن الله .

اعتدل القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

ـ أتعشّم هذا ..

وكان هذا إيذاناً ببدء التجربة ...

التجربة ذات النتائج الغامضة ...

جدًا ...

* * *

تحرك (أكرم) فى داخل تلك العربة الكبيرة ، التى تعد بمثابة مكتب أو مقر متحرك للفريق ، وبدا عصبيًا ، وهو يقول :

ـ أليس لى أى دور هنا ؟!

لم تحاول (سلوى) أو (نشوى) التعليق ، وهما تركزان على رصد التغيرات الكهرومغناطيسية ، التى تشير إلى أن تلك الفجوة ستظهر فى هذه البقعة ، خلال ثوان قليلة فحسب ...

أما (نور) ، فقد التفت إليه ، قائلاً :

ـ لم يحن دورك بعد يا صديقى ... أنت أفضل عناصر الفريق ، ولك دومًا دور شديد الأهمية ، فى كل قضية من قضاياه .

حاول (أكرم) أن يكتم غضبه ، وهو يقول :

ـ أنت دومًا مجامل يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ مطلقاً .

همّ (أكرم) بقول شىء ما ، لولا أن قاطعته (سلوى) ، قائلة فى توتر :

ـ القوى المغناطيسية تتجمع فى شدة ، على مسافة مائة متر منا .

استدار إليها (نور) فى اهتمام ، فى حين مطّ (أكرم) شفتيه مغمغمًا فى سخط :

ــ تكنولوجيا ... تكنولوجيا ... كم كنت أتمنى لو أننى ولدت قبل هذا بمائة عام .

لم ينتبه أحدهم إلى قوله ، وكلهم يتابعون ذلك البث المباشر عبر أقمار الرصد الصناعية ، والذى بدا وكأنه يرصد عاصفة فى طور التكوين ، وغمغمت (نشوى) :

ــ إنها عاصفة كهرومغناطيسية عنيفة ، أشبه بالانفجارات الشمسية .

مع آخر عبارتها ، دوت تلك الفرقعة القوية ، على نحو ارتجت معه عربة الفريق فى قوة ، فهتف (أكرم) ، وهو يسحب مسدسه فى حركة غريزية :

ــ رباه !.... ما هذا ؟!

مع آخر قوله ، هبّت رياح قوية ساخنة على المكان ...

رياح من القوة ، حتى إنها كادت تنتزع سيارة الفريق من مكانها ، فى حين هتفت (سلوى) :

ــ إنها تكتمل .

ووسط قولها ، انقطعت كل أجهزة العربة ، وتوقفت عن العمل ، فوثبت (نشـــوى) تلتقـــط طائرتها التجريبية ، وهى تغمغم فى انفعال :

ــ حان الوقت .

جذبت ذراعًا ميكانيكيـــة فى جانب الطـــائرة ، ثم فتحت باب السيارة ، قائلة :

ــ هيا ...

وعبر باب السيارة المفتوح ، انطلقت الطائرة التجريبية ...

وفى نفس اللحظة ، صدرت عن الفجوة فرقعة أخرى ، اكتمل معها تكوينها ، كدائرة سوداء كبيرة تقطع الطريق ...

وبأنفاس مبهورة ، تطلع الجميع إلى تلك الدائرة السوداء ، وعبر رءوسهم جميعًا انطلق سؤال واحد ...

أى شىء سيعبر الفجوة هذه المرة ؟!...

أى شىء ؟!...

استدار إليها (نور) فى اهتمام ، فى حين مطّ (أكرم) شفتيـ
مغمغمًا فى سخط :

ـ تكنولوجيا ... تكنولوجيا ... كم كنت أتمنى لو أننى ولدت قـ
هذا بمائة عام .

لم ينتبه أحدهم إلى قوله ، وكلهم يتابعون ذلك البث المباشر
عبر أقمار الرصد الصناعية ، والذى بدا وكأنه يرصد عاصفة فـ
طور التكوين ، وغمغمت (نشوى) :

ـ إنها عاصفة كهرومغناطيسية عنيفة ، أشبه بالانفجارا
الشمسية .

مع آخر عبارتها ، دوت تلك الفرقعة القوية ، على نحو ارتجـ
معه عربة الفريق فى قوة ، فهتف (أكرم) ، وهو يسحب مسدسـ
فى حركة غريزية :

ـ رباه !... ما هذا ؟!

مع آخر قوله ، هبّت رياح قوية ساخنة على المكان ...

رياح من القوة ، حتى إنها كادت تنتزع سيارة الفريق مـ
مكانها ، فى حين هتفت (سلوى) :

ـ إنها تكتمل .

ووسط قولها ، انقطعت كل أجهزة العربة ، وتوقفت عن العمل ، فوثبت (نشوى) تلتقط طائرتها التجريبية ، وهى تغمغم فى انفعال :

ـ حان الوقت .

جذبت ذراعًا ميكانيكية فى جانب الطائرة ، ثم فتحت باب السيارة ، قائلة :

ـ هيا ...

وعبر باب السيارة المفتوح ، انطلقت الطائرة التجريبية ...

وفى نفس اللحظة ، صدرت عن الفجوة فرقعة أخرى ، اكتمل معها تكوينها ، كدائرة سوداء كبيرة تقطع الطريق ...

وبأنفاس مبهورة ، تطلع الجميع إلى تلك الدائرة السوداء وعبر رءوسهم جميعًا انطلق سؤال واحد ...

أى شىء سيعبر الفجوة هذه المرة ؟!...

أى شىء ؟!...

ولكن ومهما بلغت خيالاتهم من جموح ، كان من المستحيل أن يتخيلوا ما رأوه بالفعل !! ...

من المستحيل تمامًا !! ...

* * *

لأن الجنرال (راعول) ، مدير المخابرات الإسرائيلية بالصمت التام ، طوال فترة متابعته للتجربة ، التى التقطتها الكاميرات السرية للجنرال (شاميت) ، وما أن انتهى العرض ، حتى التفت إلى هذا الأخير ، قائلاً :

ــ ما نوع السلاح الذى تفكر فيه ، باستخدام طاقة مضادة للجاذبية ؟!

بدا الجنرال (شاميت) هادئًا واثقًا ، وهو يجيب :

ــ إننا لا نتحدث عن طاقة مضادة للجاذبية فحسب ، وإنما عن مجال مدهش ... أول تطبيق ناجح لنظرية المجال الموحد .

عاد الجنرال (راعول) يسأله :

ــ وما الذى تتوقعه من هذا ؟!...

أجابه (شاميت) ، فى سرعة وحزم واقتضاب :

ــ الكثير .

بدا لوهلة أنه سيكتفى بهذا الجواب المقتضب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع :

ــ اسبح بخيالك مع قنبلة بروتينية ، تسبح فى الهواء وحدها ، دون طائرة تحملها ، أو صاروخ يقذفها ... ثم تهوى من حالق فوق الهدف ... ومع النانو تكنولوجيا ، أى قمر دفاعى سيمكنه رصدها ؟!

برقت عينا الجنرال (راعول) ، وهو يغمغم :

ــ مستحيل !!

ظلت عيناه تلتمعان بعض الوقت ، وكأنه يرسم فى ذهنه صورة لما يمكن حدوثه ، قبل أن يلتفت إلى الجنرال (شاميت) ، قائلاً :

ــ ومتى يمكننا الحصول على هذا ؟!

أشار (شاميت) بيده ، قائلاً :

ــ بالنسبة لما طرحته ، يمكنك أن تحصل عليه ، فور توقيعنا العقد مع ذلك المختل بـC ولكن ما أطمح إليه يفوق هذا بكثير .

أطل التساؤل من عينى الجنرال (راءول) ، فتابع (شاميت) ى حزم :

— أحلم بتطوير الفكرة ، بحيث يمكننا خلال شهر واحد ، من نتاج سلاح قادر على محو دولة كاملة من الوجود .

والتمعت عيناه بدوره ، وهو يضيف :

— دولة اسمها (مصر) .

قالها ، والتمعت عيناه أكثر وأكثر ...

ألف مرة ...

* * *

« ما هذا بالضبط ؟!... » ...

هتف (أكرم) بالعبارة فى عصبية شديدة ، وهو يحدق ، عبر نافذة العربة الزجاجية الأمامية ، فى ذلك الكائن العجيب ، الذى عبر تلك الفجوة ...

لم يكن واحدًا من الكائنات المنقرضة القديمة ...

ولا حتى كائنًا أسطوريًا ، من تلك التى تذخر بها الأساطير الإغريقية القديمة ...

لقد كان ، إن صح الوصف ، مزيجًا من كل هذا ...

كائن ارتفاعه يبلغ ، عند نصفه المرتفع ، حوالى ثلاثة أمتار ...

أما إذا ما خفض نصفه السفلى ، فسيبدو أشبه بثعبان هائل ، له ذيل قوى ، ينتهى بمثلث عجيب ، أشبه برأس سهم حربى ...

ولم يكن يزحف أرضًا ...

بل يسير ...

يسير على ثمانية أرجل قصيرة ...

أما رأسه ، فهو أشبه برأس تنين أسطورى مخيف ...

لسانه المشقوق ، الذى يندفع ويتراجع ، عبر نابين طويلين ، جعله أقرب شبهًا بالثعبان ...

والجناحان الصغيران — نسبيًا — على جانبيه ، بديا أشبه بجناحى خفاش ، لا يصلحان ، عمليًا ، لحمل ذلك الجسد الضخم ...

ولوهلة ، تجمد المشهد تمامًا ...

الجميع حدقوا فى ذلك الكائن ...

وهو ...

ثم بدأ هو الحركة بغتة ...

فتح فكيه المخيفين ، وبدا وكأنه يطلق زمجرة أو فحيحًا ..

ولكن أحدًا منهم لم يسمع شيئًا ...

إلا أن كل النوافذ الزجاجية لعربة الفريق تشققت فجأة ...

وبكل توترها ، هتفت (سلوى) :

ـ مستحيل !!... إنه يطلق موجات فوق صوتية فائقة(*)!!.. ما من كائن حى يمكنه هذا .

غمغم (نور) فى انفعال :

ـ ليس فى عالمنا بالتأكيد .

مع آخر حروف كلماته ، انقض ذلك الكائن ...

انقض على عربة الفريق ، فصرخت (سلوى) ، وشهقت (نشوى) ، وتراجع (نور) و(أكرم) ، و ...

وارتطم الكائن بالعربة فى قوة ...

(*) الموجات فوق الصوتية قد تبلغ حدًا من الشدة ، يؤدى إلى تحطم الزجاج على الرغم من كونها غير مسموعة .

والواقع أنه كان ارتطامًا شديد العنف ، كاد يقلب السيارة على جانبها ...

وبكل ذعرها ، هتفت (نشوى) :

ـ رباه .... السيارة لن تحتمل ضربتين أخريين .

تراجع ذلك الكائن ، وأطلق من حلقه صرخة فوق صوتية أخرى ، تضاعف لها تشقق الزجاج ، فأضافت (سلوى) فى هلع :

ـ وهذا الزجاج سينهار ، بعد صرخة ثالثة .

سحب (نور) مسدسه الليزرى فى حزم ، وهو يقول :

ـ ليس أمامنا سوى قاعدة (نابليون) إذن .

دفع باب السيارة الخلفى ، ووثب عبره ، مكملاً :

ـ الهجوم خير وسيلة للدفاع .

سحب (أكرم) مسدسه التقليدى بدوره ، هاتفًا :

ـ أخيرًا .

ثم وثب خلف (نور) ، فى نفس الوقت الذى كان الكائن يتراجع فيه ، مستعدًا ...

ولكنه توقف فجأة ، وكأنه لم ير بشريًا من قبل قط ...

فى نفس اللحظة ، هتفت (سلوى) بابنتها :

ــ لابد أن نبتعد عن هنا .

لم تجبها (نشوى) على الفور ، وهى تتابع فى اهتمام متوتر طائرتها التجريبية الصغيرة ، وهى ترتفع فوق رأس ذلك الكائن فى طريقها إلى تلك الفجوة السوداء المخيفة ...

ذلك الكائن أيضًا رأى الطائرة تعبره ، فرفع نصفه العلوى أكثر محاولاً أن يقبض عليها بفكيه ...

وفى هذه اللحظة ، ضغط (نور) زناد مسدسه الليزرى ...

وصوّب (أكرم) مسدسه التقليدى ...

وهتفت (نشوى) ، وقد بدا لها إن فكى الكائن ستلتقط طائرتها التجريبية بالفعل :

ــ لا ... ليس الآن .

ولكن الطائرة تجــاوزت فكى الكائن ، وواصلت طريقها نحو الفجوة ...

إلا أن مسدس (نور) لم ينطلق ...

وفى توتر ، هتف (نور) :

ــ يا إلهى !.... كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!... مسدسى يعمل عبر زناد رقمى أيضًا .

هتف (أكرم) ، وهو يتجاوز (نور) ، ويقترب من ذلك الكائن فى جرأة :

ــ لهذا أكره التكنولوجيا .

قالها ، وأطلق رصاصاته نحو ذلك الكائن ...

وفى نفس اللحظـــة ، عبـــرت طائرة (نشـــوى) التجريبية الفجوة ...

ومع عبورها ، انطلقت من الفجوة فرقعة جديدة ...

وأطلق الكائن صرخته الصامتة ...

وانهار زجاج سيارة الفريق ...

وصرخت (سلوى) ...

وتراجعت (نشوى) ...

وارتطمت رصاصات (أكرم) بجسم الكائن ...

ثم ارتدت عنه فى عنف ...

وتراجع (أكرم) فى دهشة ، مغمغمًا بكل توتره :

ــ ما هذا ؟!

مع غمغمته ، التفت الكائن إليه ...

وأطلق صرخة مكتومة أخرى ...

وتشققت كل شاشات الأجهزة ، فى عربة الفريق ...

وصرخت (نشوى) فى ذعر :

ــ رباه !... سنفقد كل شىء .

هتفت بها (سلوى) فى رعب :

ــ هذا لو بقينا على قيد الحياة ...

وفى بطء متحفز ، استدار الكائن إلى (نور) و (أكرم) ...

وأطلق (أكرم) رصاصاته مرة ثانية ...

وثالثة ...

ورابعة ...

وارتدت كل رصاصاته ، كما لو أنها ترتطم بحاجز من صلب مطاطى ...

ورفـع الكائن نصفه العلـوى فى شـدة ، حتى تجاوز الأمتار الثلاثة ارتفاعًا ...

ثم فتح فكيه عن آخرهما ...

وانقض ليبتلع (نور) و (أكرم) ...

وصرخت (نشوى) و (سلوى) بكل رعب الدنيا ...

كله ...

بالفعل ...

* * *

« لم أفكر قط فى هذا الاحتمال ... » ...

غمغم الدكتور (عدلى) بالعبارة فى دهشة ، تمتزج بالكثير من الحيرة ، فابتسم الجنرال (شاميت) ، وهو يربت على كتفه ، قائلاً :

ــ الأمر ليس صعبًا كما تتصوَّر ... إنك ستحول الطاقة المضادة للجاذبية إلى طاقة مدفعية ، يمكن إطلاقها عبر الأقمار الصناعية ، نحو مساحات كبيرة من الأرض .

قال الدكتور (عدلى) من توتر :

ــ أتعلم ما الذى يمكن أن يحدث ، فى مثل هذه الحالة ؟!

تراجع (شاميت) ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

ــ أخبرنى أنت .

أجابه الدكتور (عدلى) فى انفعال :

ــ جزيئات الأرض ستفقد تأثيــر الجاذبية عليهــا ، وستنها[ر] الطاقة الموحدة ، التى تبقى على تماسكها .

غمغم (شاميت) يستحثه :

ــ وماذا فى هذا ؟!

ارتفع صــوت الدكتــور (عدلى) ، وتضاعف توتره ، وه[و] يقول :

ــ مدن كاملة ستنهار ، وستفقد ارتباطها بالجاذبية الأرضية مما يجعلها تندفع عاليًا فى الفضاء ، بكل ما عليها .

وصمت لحظة ازدرد خلالها لعابه فى صعوبة ، قبل أن يضيف :

ــ ومن عليها أيضًا .

مال (شاميت) نحوه ، متسائلاً بعينين تلتمعان :

ــ أتعنى أن مدنًا كاملة ستقلى ؟!..

راح الدكتور (عدلى) يلوح بذراعيه فى الهواء ، وهو يجيب فى انفعال :

ــ المدن بكل ما عليها ومن عليها ، ستتجاوز الغلاف الجوى الأرضى ، مع فقدانها لطاقة الجاذبية الأرضية تمامًا ، وستسبح فى الفضاء البارد ، فيتجمد كل ما عليها ... ومن عليها أيضًا .

سأله (شاميت) فى بطء :

ــ وكيف سينتهى بها الأمر ؟!

أجاب الدكتور (عدلى) فى سرعة :

ــ إما أن تقع تحت تأثير جاذبية القمر ، أو تجذبها جاذبية أكثر قوة .

وارتجف صوته ، على الرغم منه ، وهو يضيف :

ــ جاذبية الشمس .

تراجع (شاميت) ، وهو يهتف فى جذل :

ـ مدهش .

حدق فيه الدكتور (على) فى استنكار ، هاتفًا :

ـ أيبدو لك هذا ممتعًا ؟!

أجابه فى سرعةٍ وخبث :

ـ بل لقد أوضح لى أننى أمام عبقرى ، لم يشهد الزمان مثله قط ... ثم أنه يؤكد أننا إزاء أقوى وأخطر سلاح عرفه الكون .

تراجع الدكتور (على) مستنكرًا ، فعاد (شاميت) يميل نحوه ، مضيفًا :

ـ سلاح يستحق أن يحصل مبتكره على لقب ملك العباقرة عبر التاريخ .

ولم ينطق الدكتور (على) بحرف واحد ...

ولكن عينيه التمعتا لمعانًا عجيبًا ...

كألف شمس ...

* * *

كل شىء كان يؤكد إن ذلك الكائن سيبتلع (نور) و(أكرم) بلا رحمة ...

كل شىء ..

ولكن فجأة ، انطلقت من تلك الفجوة فرقعة رهيبة ...

فرقعة ارتجت لها عربة الفريق مرة ثانية ، وسقطت معها (سلوى) و(نشوى) وسط العربة ، وسقط (نور) و(أكرم) أرضا خارجها ...

ثم تحركت تلك الفجوة ...

واعتدل الكائن فى حركة حادة ..

ثم بدأت تلك الفجوة تجذبه إليها ...

كان يقاوم فى شدة ، ويضرب الهواء بجناحى الخفاش على جانبيه ...

ولكن الفجوة اجتذبته فى قوة ...

وليس وحده ...

لقد اجتذبت إليها (نور) و(أكرم) أيضًا ...

وفى استماتة حاول كلاهما التشبث بشىء ....

أى شىء ..

ولكن لم يكن هناك ما يمكن أن يتشبثا به ...

وبكل عصبيته هتف (أكرم) :

ـ إنها تجتذبنا يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ هذا ما يبدو ...

كانت (سلوى) قد استعادت توازنها فى هذه اللحظة ، ونهضت تلقى نظرة خارج العربة ...

واتسعت عيناها وهى تصرخ :

ـ يا إلهى !!... (نور) .... (أكرم) .

نهضت (نشوى) بدورها ، وانطلقت من حلقها شهقة قوية ...

فأمام عينيها ، كان ذلـك الوحش ينجذب فى عنف ، نحو تلك الفجوة السوداء ، وجسـدا (نـور) و(أكـرم) يلحقان به فى الهواء ...

وبكل رعبها ، صرخت (نشوى) :

ـ لا ... ليس هما ...

مع صرخاتها ، كانت تلك الفجــوة قـد ابتلعت ذلك الكائن بالفعل ...

وكان جسدا (نور) و(أكرم) يطيران فى الهواء نحوها ...

وأمام عينى (سلوى) و(نشوى) المذعورتين ، ابتلعت تلك الفجوة السوداء جسدى (نور) و(أكرم) ...

ثم بدا وكأنها تكمل اندفاعها ؛ لتبتلع كل من تبقى من الفريق ... بلا استثناء .

* * *

6 ـ بلا أثــر ..

احتقن وجـه القـائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو ين
للدكتور (صفوت) :

ـ بلا أثر؟!

أومأ الدكتور (صفوت) برأسه إيجابًا ، وقال فى مرارة :

ـ استخدمنا كل ما لدينا من وسائل ، ولكننا لم نعثر لهم ع
أثر واضح .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ ياللخسارة ! .

صمت لحظات ، محاولاً كتمان مشاعره ، قبل أن يكمل :

ـ كيف يمكن أن نفقد أقوى من لدينا ، على هذا النحو؟!

ازدرد الدكتور (صفوت) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول :

ـ لقد استنفرنا كل جهودنا وإمكانياتنا لـ ...

قاطعه القائد الأعلى فى حدة :

ـ وهذا ما تفعلونه ، منذ أن ابتلعت تلك الفجوة القاتلة جنودنا وعلماءنا وغيرهم ، ولم يسفر هذا عن شىء بعد .

ازدرد الدكتور (صـفوت) لعابه مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فزفر القائد الأعلى فى توتر ، قائلاً :

ـ معذرة يا دكتور (صـفوت) ، ولكن كل هـذه الاختفاءات صارت تثير توترى بشدة ، فلا أحد يدرى ماذا يمكن أن تفعل بنا تلك الفجوة الزمكانية ، فى المرة التالية ؟!

صمت الدكتور (صفوت) تمامًا ، دون أن يجيب ...

فهذا هو السؤال ، الذى يشغل مركز الأبحاث العلمية بأكمله ...

ماذا يمكن أن تفعل تلك الفجوة ، عند ظهورها التالى ؟!...

ماذا ؟!...

ماذا ؟!...

« ماذا عن باقى أعضاء الفريق ؟!... » ...

انتزعه القائد الأعلى من توتره بسؤاله هذا ، فتنحنح فى توتر ، وهو يجيب :

— تلك الفجــوة ، بعــد أن ابتلعت (نور) و(أكرم) ، و
الكائن العجيب ، اندفعت نحو عربة الفريق فى سرعة ..

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

— ثم ماذا ؟!

التقط الدكتور (صفوت) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

— ثم تلاشت دفعة واحدة ، قبل أن تبلغ عربتهم بمتر واحد .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم غمغم ، وكأنه يحدث نفسه :

— إذن فــ (سلوى) و(نشوى) نجيتا .

غمغم الدكتور (صفوت) :

— و(رمزى) أيضًا .

صمت القائد الأعلى لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

— ما زال هناك أمل إذن !

والتقى حاجبا الدكتور (صفوت) ...

وبمنتهى الشدة ..

* * *

اندفع (رمزى) بكل انفعاله ، داخل حجرة الفريق ، وهو يهتف :

— (نشوى) ... حبيبتى ... أأنت بخير ؟!

لم تستطع (نشوى) إجابته ، من وسط دموعها ، فى حين غمغمت (سلوى) فى حزن ومرارة :

— نحن بخير ، ولكن (نور) و(أكرم) ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، مع الدموع التى ملأت عينيها ، والغصة التى أغلقت حلقها ، فأدرك (رمزى) ما تمر به هى وابنتها ، مع اختفاء (نور) و(أكرم) أمام عيونهما ، فقال فى حزم :

— من حسن الحظ أن تلك الفجوة لم تبتلعكما أيضًا .

غمغمت (سلوى) فى مرارة :

— حسن حظ من ؟!

أجاب بنفس الحزم :

— حسن حظ (نور) و(أكرم) ، وكل من ابتلعته تلك الفجوة من قبل .

حدقت فيه كلتاهما فى دهشة ، فتابع فى قوة :

ـ كنتما شاهدتين على ما حدث ، وكلتاكما خبيرة لا يشق لها
ـار فى مجالها ، وقدرتكما على الرصـد والبحـث وتحليل
علومات واستخلاص النتائج ، أهلتكما لأن تكونا عضوتين فى
ى فريق مخابرات علمية فى (مصر) ، فأية فرصة أفضل
ن هذا ؟!

عادت كلتاهما تحدقان فيه لحظات ، ثم التفتتا إلى بعضهما
بعض فى صمت ، استغرق أقل من نصف الدقيقة ، قبل أن تغمغم
سلوى) :

ـ إنه على حق .

تمتمت (نشوى) :

ـ دومًا .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (رمزى) ، الخبير النفسى
بالفريق ، فى حين ساد الصمت لحظة داخل حجرة الفريق ، قبل أن
تلتفت (نشوى) إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تقول فى
حسم :

ـ سأراجع خرائط التوزيع الكهرومغناطيسى مرة أخرى .

استدارت (سلوى) إلى الكمبيوتر بدورها ، قائلة :

ـ وأنا سأراجع خرائط الطقس ، وصور الأقمار الصناعية .

واتسعت ابتسامة (رمزى) أكثر ...

وأكثر ...

وأكثر ...

* * *

« ماذا تتوقع !! ... » ...

ألقى الجنرال (شاميت) السؤال على الدكتور (عدلى) ، وهما
يقفان فى تلك المنطقة الصحراوية المنعزلة ، ما بين (لبنان)
و(سيناء) ، فأجابه الدكتور (عدلى) ، وهو يشير إلى شكل
مكعب هائل ، يستقر فوق الرمال :

ـ أتوقع أن ينطلق هذا المكعب ، الذى يزن خمسين طنًا ، إلى
الفضاء بضغطة زر واحدة .

ثم التفت إلى جهاز صغير أشبه بمدفع رق

— وبشعاع مباشر .

نقل (شاميت) بصره ، بين المكعب والمدفع ، ثم قال :

— دعنا نرى .

تراجع بضع خطوات ، فى حين اعتدل الدكتور (عدلى) ، وشد قامته ، وأخرج جهاز التحكم ذى الأزرار الملونة من جيبه ، وقال :

— سترى .

ضغط أحد أزرار جهاز التحكم ، فدار ذلك المدفع الصغير فى بطء ، حتى صار مصوبًا نحو المكعب الهائل ، ثم تألقت قمته ...

وانطلق منه شعاع مباشر ...

شعاع أصاب ذلك المكعب ، فى منتصفه بالضبط ...

ولثوان ، بعد أن أصاب الشعاع ذلك المكعب ، لم يحدث شىء .. أى شىء ...

ثم ، وفى بطء ، بدأ المكعب يتحرك ، ويهتز ...

ويهتز ...

ويهتز ...

وفى بطء ، راح يرتفع عن الأرض ...

وفى شىء من الإحباط ، غمغم الجنرال (شاميت) :

— كان يرتفع فى انسيابية أكثر ، عنـدما رأيت التجربة المرة الأولى .

بدا الدكتور (عدلى) شديد التوتر ، وهو يغمغم :

— كانت طاقة نقل فحسب ، ولكنك تريد ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع المكعب فجأة عن الأرض ، لمسافة تقترب من عشرة أمتار ...

وبكل انفعاله ، هتف الدكتور (عدلى) :

— أرأيت !!

لم يكد يتم هتافه ، حتى ارتج ذلك المكعب فى قوة ، أحدثت فرقعة قوية فى المكان ، على الرغم من اتساعه ، وصرخ (شاميت) :

— احترس يا رجل .

اتسعت عينا الدكتور (عدلى) فى ارتياع ، وجمد فى مكانه ، كما لو أنه قد تحوّل إلى تمثال من حجر ، و ...

وهوى المكعب ...

ولحماية عمليته ، وثب (شاميت) نحو الدكتور (عدلى) وأحاط وسطه بذراعيه ، وهو يدفعه بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى ارتطم فيها ذلك المكعب بالرمال بمنتهى العنف ...

وبكل الارتياع ، هتف الدكتور (عدلى) :

ـ ماذ حدث ؟!

كان المكعب يواصل ارتجاجه ، فسحبه (شاميت) بعيداً ، وهو يقول فى توتر :

ـ فلنبتعد عن هنا أولاً .

انطلقا يعدوان معًا ، فى حين مال المكعب على نحو مخيف ، ثم لم يلبث أن انقلب على جانبــه ، مخالفًا كــل القوانين الرياضية البسيطة ...

وهوى ..

هوى ليسحق ذلك المدفع الدقيق سحقًا ...

ومع تحطم المدفع ، دوت فرقعة قوية فى المكان ...

ثم فجأة ، انهار البناء الخلوى للمكعب الهائل ، وتهاوى فتاتًا ، لتمتزج ذراته برمال الصحراء ...

ولثوان ، ران على المكان كله صمت رهيب ...

صمت استغرق ثوان قليلة ، قبل أن يقطعه صوت الدكتور (عدلى) ، وهو يهتف مصدومًا :

ـ مستحيل !!... مستحيل !! ...

أما (شاميت) ، فلم ينبس ببنت شفة ...

على الإطلاق ...

* * *

« رباه !... » ...

هتفت (نشوى) بالكلمة فى توتر شديد ، جعل (رمزى) يميل نحوها ، ليسألها فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

غمغمت بكل توترها :

انتقلت (سلوى) ؛ لتلقى نظرة على شاشة كمبيوتر (نشوى) التى تكمل فى توتر متزايد :

ـ إنها تنشأ ولكن ...

غمغمت (سلوى) مكملة ، فى توتر مماثل :

ـ أكثر شدة .

أضافت (نشوى) :

ـ بكثير .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها الكلمة الأخيرة ، كان الدكتور (صفوت) مع القائد الأعلى ، فى مكتب هذا الأخير ، يتابعان تكون تلك الفجوة السوداء ، التى تضاعف حجمها ثلاث مرات على الأقل ، والأول يقول بكل القلق :

ـ ترى ما الذى ستسفر عنه هذه المرة ؟!

كانت الأقمار الصناعية تنقل صورة تلك الفجوة ، وهى تتكون .. وتتكون ...

وتتكون ...

ثم ، وبدوى هائل ، انطلقت تلك الفرقعة ...

فرقعة قوية ، حتى إن الأرض من حول الفجوة قد ارتجت فى عنف ، وكأنما ضربها زلزال بقوة تسعة (ريختر) على الأقل .

وعلى نحو مخيف ، تشققت الأرض من حولها ...

وشعر سكان (الإسكندرية) و(مطروح) بالارتجاج ...

وبعضهم سمع تلك الفرقعة ...

وحبست (سلوى) و(نشوى) أنفاسهما ...

وتراجع (رمزى) فى توتر ...

وانعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ...

وشهق الدكتور (صفوت) ...

وعبر الفجوة ، اندفع شىء مختلف هذه المرة ...

شىء لا ينبض بالحياة ...

لقد اندفعت أطلالاً عبرها ...

أطلال منـــازل مهدمة ، وجســـور محطمـــة ، وأثاثات منزلية مهشمة ...

ومع تلك الأطلال ، انطلقت رياح ملتهبة ...

رياح أحرقت مساحة كبيرة من الأرض حولها ...

وفى ذهول ، هتف الدكتور (صفوت) :

ـ رباه !... وكأننا فى حرب .

مع نهاية عبارته ، اندفع شىء أشبه بالكبسولة الفضائية ع
الفجوة ، وارتطم بالأرض وقفز مرتين ، قبل أن يتدحرج مبتـ
عنها ...

ثم انطلقت فرقعة أخرى عنيفة ...

وفجأة ، وبلا مقدمات أيضًا ، تراجعت تلك الفجوة ...
وانكمشت ...

ثم تلاشت دفعة واحدة ...

ومع تلاشيها ، ساد صمت عجيب !! ...

وهبّت رياح أكثر عجبًا !! ...

الكل راح يحدق فيما خلفته تلك الفجوة ، من أطلال مشتعلة
ودمار رهيب ، وألسنة نار تتراقص مع رياح باردة كالثلج .

ثم غمغم الدكتور (صفوت) ذاهلاً :

ـ وكأنها أفرغت كل ما بجوفها دفعة واحدة ، ثم انسحبت .

أما القائد الأعلى ، فقد قال فى اهتمام متوتر :

ـ تلك الكبسولة .

التفت إليه الدكتور (صفوت) بنظرة متسائلة ، فتابع فى
صرامة حازمة :

ـ فلنرسل فورًا من يحضرها .

قالها وهو يضغط أزرار شاشة المراقبة ، لتملأ تلك الكبسولة
الشاشة كلها ، وهى تحمل على جانبها علمًا ، اعتاد الكل احترامه
دومًا ...

على الوطن ...

(مصر) ...

* * *

شمل التوتر الدكتور (عدلى) ، من قمة رأسه وحتى أخمص
قدميه ، وهو يجلس صامتًا ، أمام الجنرال (شاميت) والجنرال

(راعول) ، فى حين يروى الأول ما حدث ، ويستمع الثانى فى صمت ، وهو يحدج الدكتور (عدلى) بنظرة باردة قاسية ، جعل هذا الأخير يقول فى توتر :

ـ إنه خطأ فى معادلة فحسب .

ران الصمت لحظات ، بعـد أن قال عبارته ، ثم غمغم الجنرال (راعول) ، فى بطء وبرود :

ـ معادلة واحدة فقط ؟!

ارتبك الدكتور (عدلى) ، وهو يغمغم :

ـ ربما معادلتين أو ثلاث .

ران الصمت على الحجرة ، عقب عبارته ، مما جعله يضيف فى عصبية :

ـ ويمكننى إصلاح هذا .

تبادل الجنرالان الإسرائيليان نظرة صامتة ، سأله (شاميت) بعدها :

ـ فى كم من الوقت ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ فى ثمان وأربعين ساعة فحسب .

تبادل الجنرالان نظرة صامتة أخرى ، قبل أن يميل (راعول) نحو الدكتور (عدلى) ، قائلاً فى صرامة :

ـ اسمعنى جيدًا ... أيها الـ ... عبقرى ... منذ الاحتلال(*)، وتسيد الفريق العلمى المصرى الموقف ، انخفضت مكانة (إسرائيل) كثيرًا ، وانكمشت مساحتها ، إلى أقل مما كانت عليه ، قبل عام 1967م ...

ارتفعت نبرة صوته ، وحملت الكثير من الحدة ، وهو يتابع :

ـ وسلاحك هذا هو فرصتنا الوحيدة ، لكى تسترد (إسرائيل) مكانتها ، وتستعيد ما خسرته من أراض ، و ...

ضغط (شاميت) يده فى سرعة ؛ ليمنعه من الاستطراد ، واندفع يقول ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة متزلّفة :

ـ وهو فرصتك أيضًا ؛ لتثبت للعالم كله أنك العبقرى ، الذى لم يقدروا عبقريته فى وطنه .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم 76

صمت الدكتــور (عدلى) تمامًا ، ولم ينبس ببنت شفة ، وعقله يدير الأمر كله ... وعلى نحو لم يتوقعه الجنرالان ... قط ...

* * *

فرقة كاملة من القوات الخاصة ، أحاطت بتلك الكبسولة العجيبة ، التى ألقتها الفجوة فى عالمنا ...

كانت كبسولة بيضاوية الشكل ، فى حجم سيارة صغيرة ، لها لون فضى لامع ، ومصنوعة من مادة قوية ناعمة ، أشبه بالألياف الزجاجية ، ولكنها أكثر قوة بالتأكيد ؛ لأنها ، وعلى الرغم من ارتطامها بالأرض ، لم يظهر فيها خدش واحد ...

وفى حذر ، راح فريق القوات الخاصة يقترب من تلك الكبسولة ...

وفى حجـرة الفريق ، راحت (نشــوى) تعمل على تقريب صورة الكبسولة ، عبــر الأقمار الصناعية ، ثم ضغطت زر التحليل الطيفى ، وراحت تراقب الخطوط التى ارتسمت أمامها على الشاشة ، وهى تقول :

ـ تيتانيوم(*)، ولدائن ، مع غلاف من مادة غير معروفة .

ثم تراجعت مكملة فى حيرة :

ـ وعلى جانبها علم (مصر) .

غمغمت (سلوى) :

ـ إذن فهى عبرت الزمن ، مثل تلك المقاتلة .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان فريق من العلماء ، يرتدى زيًّا واقيًا خاصًّا ، يقيس مستويات الإشعاع ، حول الكبسولة والأطلال ، وغمغم أحدهم ، مع ما أعلنه مقياسه :

ـ أيًّا كان ما صنع هذه الأطلال المدمرة ، فهو ليس نوويًّا .

غمغم عالم آخر :

ـ ما الذى يمكن أن يصنع كل هذا الدمار إذن ؟!

مط الأول شفتيه ، وهو يجيب :

ـ شىء أكثر قوة .

(*) تيتانيوم : عنصر كيميائى ، رمزه (Ti) ، وهو فلز انتقالى خفيف الوزن ، قوى ، لامع ، ومقاوم للصدأ ، بما فى هــذا تأثير ماء البحر والكلور، ولونه معدنى أبيض فضى مشوب بالحمرة .

كان الجواب مخيفًا ، إلا أن العالم الثانى اكتفى بهز رأسه ، ثم التقط جهاز اتصال صغير ، وقال عبره :

ـ المكان آمن إشعاعيًا .

تحركت القوات الخاصة إثر قوله ؛ لتحيط بتلك الكبسولة من كل جانب ، وتقترب منها فى بطء وحذر ، فى حين خلع العالم الثانى خوذته الواقية ، وهو يبتعد مع الأول ، متسائلاً :

ـ أيمكن أن يكون زلزالاً عنيفًا ؟!

هزَّ العالم الأول رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لصنع هـذا الدمـار ، لابد أن يكون زلزالاً ، يتجاوز العشر درجات بمقياس (ريختر)[*] .

همَّ العالم الثانى بقول شىء ما ، عندما سمع أزيزًا خافتا ، من جهاز آخر مثبت فى حزامه ، فتوقف مغمغمًا فى توتر :

ـ يا إلهى !

التفت إليه الأول فى تساؤل ، فتابع فى شحوب :

(*) مقياس ريختر : مقياس عددى ، يستخدم لوصف قوة الزلازل، ابتكره (فرانسيس ريختر) عام 1935م، وهو يبدأ بالزلازل الدقيقة، من مقياس 2 ، والتى لا يشعر بها أحد ، إلى الزلازل الخارقة ، من مقياس 10 ريختر .

ـ هناك كيان حيوى ، داخل تلك الكبسولة .

بهت العالم الأول ، وهو يقول :

ـ حيوى ؟!

عادا أدراجهما فى سرعة ، إلى حيث التف جنود القوات الخاصة حول تلك الكبسولة ، وهتف الأول محذراً :

ـ حذار ... هناك كيان حيوى ، داخل هذه الكبسولة .

التقطت أجهزة (نشوى) هتافه ، فغمغمت (سلوى) مبهوتة :

ـ كيان حيوى ؟!

اقتربت مع (رمزى) من الشاشة ، وانحبست أنفاس ثلاثتهم ، وهم يتابعون الاقتراب الحذر ، لرجال القوات الخاصة ، و ...

وفجأة ، انفتحت الكبسولة ..

وشهقت (سلوى) ، وتراجعت (نشوى) ، وتوتر (رمزى) ، وانحاز جنود القوات الخاصة ، وصوبوا نحوها أسلحتهم ، ولكنها تنزاح تدريجيًا ، مع بخار خفيف ينبعث منها ...

وفى بطء ، راحت الصورة تتضح ...

وتتضح ...

وتتضح ...

وقرُبَت (نشوى) المشهد أكثر ...

وأكثر ..

وأكثر ...

ثم انقشع البخار ، وبدا المشهد واضحًا ، فصرخت (سلوى) ، وهى ترتد فى عنف كالمصعوقة :

ـ مستحيل !

فمهما كان خيالها ، كان من المستحيل أن تتصور ما رأته داخل تلك الكبسولة ...

من المستحيل ...

تمامًا .

7 ـ البديل ...

صرخة قوية ، أطلقها ذلك الفارس القديم ، فى معامل الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ...

صرخة غاضبة ...

ثائرة ...

ومتألمة ...

وبكل هذا صرخ :

ـ إنكم تقتلون (بندقدار) أيها الشياطين .

تساءل أحد العلماء ، الذين يشرفون على حالته :

ـ ماذا أصابه ؟!

هزَّ عالم آخر رأسه فى حيرة ، وهو يغمغم :

ـ لسنا ندرى ، كـان يبـدو وكأنه قد استسلم للأسر ، عندما انتابته تلك النوبة العصبية فجأة ، وراح يصرخ على هذا النحو .

تطلع العالم الأول إلى الفارس فى دهشة ، وهذا الأخير يدق جدران زنزانته الزجاجية المنيعة ، صارخًا فى حدة :

ـ أى سم دسستموه فى طعامى أيها الخونة ؟!... أى سم ؟!

تراجع العلماء مصدومين لقوله ، وهتف أحدهم :

ـ رباه !... الرجل يعانى من أعراض ما ، جعلته يتصور أننا قد دسسنا له السم .

هتف رئيس الفريق :

ـ لابد من استدعاء فريق طبى لفحصه فورًا .

مع قوله ، أطلق الفارس صرخة ألم أكثر قوة ، وراحت يده تبحث عبثًا فى غمده ، عن سيفه الذى جردوه منه ، فى حين أمسكت يده الأخرى جبهته ، وهو يصرخ :

ـ أيها الخونة !... أيها القتلة ! ..

مع نهاية صرخته ، خيل إليهم جميعًا أن هناك ضوءًا ينبعث من داخله ، كما لو كان أحدهم قد أضاء مصباحًا قويًا فى أعماقه ...

وبكل انفعاله ، هتف رئيس فريق العلماء بأحد أفراد فريقه :

ـ هل سجلت هذا ؟!

غمغم الرجل ، والانبهار يملأ صوته :

ـ بالتأكيد .

أطلق الفارس صرخة ألم أكثر قوة هذه المرة ، وتضاعفت شدة الضوء المنبعث من داخله ، حتى لم يعد أحدهم قادراً على النظر إليه ، و ...

وفجأة ، بدا لهم وكأن قنبلة من الضـــوء قـــد انفجرت فى وجوههم ، وأغشت أبصارهم تمامًا لنصف دقيقة أو يزيد ...

وعنـــدما استعادوا قدرتهـــم على الرؤية ، كانـــت الزنزانة الزجاجية المنيعة فارغة ...

وكان ذلك الفارس قد اختفى ...

تمامًا ...

* * *

« ولكن هذا مستحيل ! ... » ...

هتفت (سلوى) بالعبارة ، وهى تندفع داخل القسم الطبى بـ
مركز الأبحاث العلمية ، وخلفها (نشوى) و(رمزى) ، ولكن أحـ
حراس المكان استوقف ثلاثتهم فى صرامة ، قائلاً :

ـ هذه آخر منطقة ، مسموح لكم بالتواجد فيها يا سادة .

هتف به (رمزى) :

ـ أى قول هذا يا رجل !!.. نحن أعضاء فريق المقدم (نور) ، ولنا امتياز خاص ، يسمح لنا بدخول كل المناطق الأمنية .

أضافت (سلوى) فى حدة :

ـ وبلا استثناء .

قال الحارس بنفس الصرامة :

ـ ليس اليوم أيها السادة .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ حاول أن تفهم يا هذا ... نحن جزء من الأمر ، ولسنا مجرد مارين من هنا .

قال الحارس فى صرامة :

ـ ما زال الجواب ثابتًا يا سيدى ... ممنوع .

هتفت به (سلوى) غاضبة :

ـ من أصدر هذه الأوامر ؟!

شدَّ الحارس قامته ، وهو يجيب فى احترام :

ـ سيادة القائد الأعلى شخصيًّا .

صدمهم الجـــواب ، فتبادلوا نظـــرة عصبية ، قبل أن تقول (سلوى) فى صرامة :

ـ هل لك أن تخبره أن فريق (نور) هنا .

أجابها الحارس فى غلظة :

ـ الأوامر التى تلقيتها صريحة يا سيدتى ... عدم دخول أى كائن .

ثم مال نحوها ، وامتزجت غلظته بالقسوة والصرامة ، وهو يضيف :

ـ أيًّا كان

قالها ، ثم اعتدل بحركة حادة ، فاندفع (رمزى) نحوه فى انفعال ، قائلاً فى حدة شديدة :

ـ اسمع يا هذا ..

ولكن (نشوى) أمسكت يده ؛ لتمنعه من الاستطراد ، وهى تقول فى سرعة :

ـ فليكن ... سنطيع الأوامر .

التفتت إليها (سلوى) ، هاتفة فى استنكار :

ـ ماذا تقولين ؟!... ألا تعلمين أن ...

قاطعتها (نشوى) فى حزم :

ـ سنطيع الأوامر يا أمى .

تبادلت كلتاهما نظرة صامتة ، استوعبها (رمزى) على الفور ، فانسحب معهما من المكان ، وهو يهمس لزوجته :

ـ لديك وسيلة لتجاوز هذا ... أليس كذلك ؟!

أجابته فى حزم :

ـ طبعًا .

لم يتبادل معها حرف واحد ، حتى جمعتهم جميعًا سيارته ، فهتف بها فى دهشة :

ـ لديك وسيلة لاختراق نطاق السرية ، فى مركز الأبحاث الطبية السرى ؟!

استرخت فى المقعد المجـاور له ، وتركته ينطلق بالسيارة ، وهى تجيب :

ـ أنا أحد أبرز علماء مركز الأبحاث ، ومن الطبيعى أن تكون لدى كل شفرات الدخول .

غمغمت (سلوى) :

ـ ليس كلها .

ارتسم شبح ابتسامة على شفتى (نشوى) ، وهى تغمغم :

ـ لقد استكملت ما ينقصنى .

تراجعت (سلوى) فى مقعدها الخلفى فى صمت ، فى حين غمغم (رمزى) :

ـ تعلمين بالطبع أن هذا غير قانونى .

أجابته فى حزم :

ـ بالتأكيد .

لم يتبادلا كلمة أخرى عن الأمر ، حتى جمعتهما حجرة الفريق ، وأسرعت (نشوى) تجلس أمام الكمبيوتر ، وتدخل الشفرات السرية به ، فامتلأت الشاشة بعدد من الشاشات الفرعية ، لأكثر الأماكن سرية فى مركز الأبحاث ، وأشارت هى إلى شاشة منها ، بدا عليها الدكتور (صفوت) ، وهو يتحدث مع القائد الأعلى ، إلى جوار فراش طبى ، رقد عليه جسد ما ، فمسَّت تلك الشاشة بسبَّابتها ، وهى تقول :

ـ ها نحن ذا .

إثر لمستها ، تمدَّدت تلك الشاشة الفرعية الصغيرة ، لتحتل الشاشة كلها ، وبدا صوت الدكتور (صفوت) مسموعًا ، وهو يقول :

ـ ليس هناك من شك ... هذه الغيبوبة العميقة بسبب رحلته عبر تلك الفجوة .

سأله القائد الأعلى :

ـ أتظنه قد عبرها بإرادته ؟!

أومأ الدكتور (صفوت) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لماذا تواجد داخل تلك الكبسولة إذن ؟!

التفت القائد الأعلى إلى الجسد الراقد على الفراش الطبى ، وتطلّع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ المادة المصنوع منها الكبسولة ، مع علم (مصر) على جانبها ، يؤكدان أنه قادم من المستقبل .

غمغم الدكتور (صفوت) :

ـ قد يكون مستقبلنا .

التفت إليه القائد الأعلى بنظرة متسائلة ، فأضاف :

ـ أو مستقبل أى عالم مواز آخر .

عاد القائد الأعلى يلتفت إلى الراقد ، مغمغمًا :

ـ وكيف يمكن أن تعرف ؟!

هزَّ الدكتور (صفوت) رأسه ، قائلاً :

– لابد أن يستعيد وعيه أولاً .

التفتت (نشـــوى) إلى (سلوى) عنـــد هـــذه النقطة ، فقالت الأخيرة فى توتر :

– لابد وأن يستعيد وعيه بالفعل ؛ فمن الضرورى أن أسأله : أين ذهب (نور) ؟!

غمغم (رمزى) :

– لو أنه الشخص نفسه الذى تعرفه .

قالها ، وعاد ثلاثتهم يحدقون فى الشاشة ، وبالذات فى ذلك الجسد الراقد على الفراش ، والغارق فى غيبوبة عميقة ...

جسد الشخص الذى يعرفونه جيدًا ، والذى خاضوا معه الكثير من المغامرات كعضو أساسى فى الفريق ...

الشخص المعروف فى عالمهم باسم ...

(أكرم) ..

* * *

هز رئيس فريق العلماء رأســـه فى توتر ، وهـــو يراجع كل التقارير ، التى تراصت أمامه ، على شاشة هولوجرامية كبيرة ، وغمغم :

– لقد فقدت خلاياه تماسكها ، وانهارت دفعة واحدة .

تبادل فريق العلماء نظرة صامتة ، ثم قال أحد أفراده :

– لا ريب أن هذا بسبب انتقاله عبر بعدين مختلفين .

أشار رئيس الفريق بيده ، قائلاً :

– على الأرجح .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

– المشكلة أنه لم يتبق منه ما يمكن فحصه .

اندفع عالم آخر يقول فى قلق :

– بل المشكلة أن هذا ، إن كان بسبب انتقاله عبر الأبعاد ، فسيحدث المثل لمن فقدناهم من زملائنا .

كان قوله أشبه بالصدمة ، على الرغم من منطقيته ، فشحبت له وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرات عصبية ، قبل أن يقول رئيس العلماء فى حدة :

ـ ليس بالضرورة .

ارتفعـت إليـه العيون كلها فى دهشـة متسائلة ، فتابع بنفس الحدة :

ـ أعنى أنه من الممكن أن يكون هناك اختلاف كبير بين الاتجاهين ، فالانتقال من الجانب الآخر للفجوة إلى عالمنا ، قد يخضع لقواعد فيزيائية ، تختلف عن الانتقال من عالمنا إلى الجانب الآخر منها .

تبادل العلماء نظرة صامتة أخرى ، ثم قال أحدهم فى حزم :

ـ نتحدث عن نتائج الانتقال بين بعدين .

أشار إليه رئيس الفريق ، قائلاً فى حزم متوتر :

ـ لم يثبت هذا بعد .

أجابه فى جرأة :

ـ لسنا فى حاجة إلى إثبات ... جسم ينتقل دفعة واحدة ، من ذبذبة يحيا فيهـا طيلة عمره ، إلى ذبذبة مختلفة تمامًا ... فماذا نتوقع ؟!... علميًا .

لم يجب رئيس العلماء ، إلا أن امتقاع وجهه جعل باقى العلماء يرتجفون ، فلو صح هذا ، فسيعنى أنه لم يعـد هناك أمل فى استعادة رفاقهم ، الذين ابتلعتهم الفجوة من قبل ...

أى أمل ...

* * *

« هناك علاقة ما ... » ...

قالتها (سلوى) فى اهتمام متوتر ، وهى تشير إلى شاشة جهاز مراقبة الطقس أمامها ، فانتقل إليها (رمزى) و(نشوى) ، وهى تكمل :

ـ فى كل مرة تظهر فيها تلك الفجوة ، يحدث اضطراب كهرومغناطيسى ، فى مكان آخر .

غمغم (رمزى) :

ـ أيهما ينشأ عن الآخر ؟

راجعت (سلوى) الأرقام والبيانات أمامها للمرة الخامسة ، قبل أن تجيب :

ـ ذلك الاضطراب الكهرومغناطيسى يسبق ظهور الفجوة بأقل من دقيقة واحدة .

غمغمت (نشوى) :

ـ دقيقة زمن كبير جدًا .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها ، قائلة فى حزم :

ـ خلال ذلك الزمن ، تبـدأ الظواهر الكهرومغناطيسية ، التى تسبق ظهور الفجوة .

غمغم (رمزى) فى اهتمام :

ـ ذلك الاضطراب مسئول عن ظهورها إذن .

قالت (نشوى) ، ويدها تتعامل فى سرعة ، مع لوحة الأزرار الهولوجرامية للكمبيوتر :

ـ أو أنها إحدى الظواهر ، التى تسبق ظهورها .

كانت أصابعها تعمل فى سرعة كبيرة ، حتى إن عيون (سلوى) و(رمزى) عجزت عـن تتبعها ، حتى اعتدلت فجأة ، قائلة فى دهشة متوترة :

ـ غير معقول !

سألها (رمزى) فى لهفة :

ـ ما هو غير المعقول ؟!

أشارت إلى الكمبيوتر ، مجيبة :

ـ إحداثيات ذلك الاضطراب الكهرومغناطيسى لم تكن عادية ، بل كانت أقرب إلى امتزاج طاقة زائد ... الأهم أنها بدأت فى صحراء (مصْر) ، ثم ظهرت مؤخرًا فى صحراء (النقب) .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وتبادل نظرة متوترة مع (سلوى) ، التى غمغمت :

ـ (إسرائيل) !! ..

عادت أصابع (نشوى) تعمل فى سرعة ، وهى تجيب :

ـ انتقال الاضطراب الكهرومغناطيسى ، من (مصر) إلى (إسرائيل) لا يبشر بالخير ، وخاصة لو أمكننى ربط توقيتاته بشخص ما .

عقدت (سلوى) حاجبيها فى شدة ، فى حين غمغم (رمزى) :

ـ وهل يمكنك هذا ؟!

أجابت ، وأصابعها ما زالت تعمل فى سرعة :

– منذ عام ألفين وتسعة عشر ، تمت إضافة شريحة إليكترونية إلى كل بطاقة هوية ، بحيث تحمل كل بيانات صاحب الهوية ، وكل ما لديه من تراخيص ووثائق ، حتى رخصة حمل السلاح ، وتلك الشرائح الدقيقة يمكن تعقبها عبر شبكة الأقمار الصناعية(*) .

غمغمت (سلوى) فى اهتمام :

– ستحددين إذن موقع الشخص ، الذى تواجد فى كل مناطق الاضطرابات الكهرومغناطيسية .

أجابت (نشوى) فى حماس :

– الذاكرة الجبارة للأقمار الصناعية ، يمكنها تخزين مواقع كل شخص على وجه الأرض ، خلال ستين يومًا سابقة و ...

بترت عبارتها بشهقة مكتومة مفاجئة ، جعلت (سلوى) تسألها فى قلق :

(*) هناك مشروع قومى بالفعـل ، لتطوير بطاقات الهـوية ببطاقة ذكية ، خلال خمسة أعوام .

– ماذا هناك ؟!

بدت (نشوى) مضطربة ، وهى تجيب :

– الشخص الوحيد ، الذى تواجد فى كل مكان حدثت فيه تلك الاضطرابات الكهرومغناطيسية ، السابقة لتكون الفجوة ، هو الدكتور (عدلى عامر) .

تراجعت (سلوى) فى دهشة ، فى حين قال (رمزى) مستنكرًا :

– أستاذ الطاقة بجامعة (القاهرة) ؟!

قالت (سلوى) متوترة :

– أستاذ الطاقة !!... ألا يبدو هذا مناسبًا ، أكثر مما ينبغى؟!

اندفع (رمزى) يسأل فى قلق :

– حتى فى صحراء (النقب) ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

– فى المرتين ، اللتين حـدث فيهما ذلـك الاضطراب ، فى صحراء (النقب) ، كان الدكتور (عدلى) متواجدًا .

صمتت لحظة ، ثم أضافت فى توتر :

ـ ولكن ليس وحده .

سألتها (سلوى) فى سرعة :

ـ من كان بصحبته ؟!

هزّت (نشوى) رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ شخص أمكنه محو كل بياناته ، من سجل الأقمار الصناعية .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ أى شخص يمكنه هذا ؟!

أجابته (نشوى) :

ـ ما من شخص يمكنه هذا .

ثم استدركت فى توتر :

ـ ولكن هناك جهات يمكنها هذا .

غمغمت (سلوى) بصوت مضطرب :

ـ المخابرات الإسرائيلية .

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، قبل أن تقول ، فى توتر أكثر :

ـ حتى المرات ، التى حـــدث فيها هـــذا فى (مصر) ، كان بصحبته شخصان ، أحدهما لا تظهـــر بياناته على السجلات ، أما الآخر فهو ...

صمتت لحظة ، ثم التفتت إليهما ، مكملة :

ـ رئيس مركز الأبحاث العلمية ... الدكتور (صفوت) .

وعلى الرغم من صدمتهما ، ران عليهما الصمت ...

تمامًا ...

* * *

انتفض جسد القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، عندما انبعث من جهاز الاتصال الخاص به ، صوت الدكتور (صفوت) ، يقول فى لهفة :

ـ سيدى ... إنه يستعيد وعيه .

كان هذا ما ينتظره القائد الأعلى فى لهفة ، لذا فلم تمض دقائق ست ، على سماعه العبارة ، حتى كان يقف مع الدكتور (صفوت) ، إلى جوار بديل (أكرم) ، الذى راح يتأوه تأوهات مكتومة ، قبل ... قال فى انفعال :

- إنها المراحل الأولى ... سيستعيد وعيه بعد لحظات .

مع نهاية كلماته ، فتح بديل (أكرم) عينيه قليلاً ، وهو يغمغم :

- هل ...هل نجحت ؟!

أمسك الدكتور (صفوت) كتفه ، وهو يقول :

- أنت الآن فى أمان يا رجل .

هز البديل رأسه ، قائلاً فى توتر متهالك :

- هل عبرت تلك الفجوة البيضاء ؟!

اعتدل القائد الأعلى ، قائلاً فى توتر :

- بيضاء ؟!

قال الدكتور (صفوت) فى اهتمام :

- إنها سوداء فى عالمنا ، ومن الممكن أن تكون بيضاء ، على الجانب الآخر .

فجأة ، أمسك بديل (أكرم) بيده ، هاتفًا :

- فى أى عام نحن ؟!... أنحن قبل عام 2055م ؟!

حاول الدكتور (صفوت) تخليص يده ، وهو يقول :

- إننا كذلك بالفعل .

زاغت عينا البديل ، وهو يقول :

- إذن فقد نجحت فى العودة ، حمدًا لله ... حمدًا لله .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- أنت (أكرم) عالمنا إذن .

لم يبد على الرجل أنه قد سمعه ، وهو يهتف :

- لم يفت الوقت بعد ... لقد خاطرت بكل شىء ، لكى أعود إلى هنا وأحذركم .

هتف القائد الأعلى :

- تحذرنا من ماذا ؟!

بدا وكأن رأسه يدور ، وهو يقول :

- ستبتلعها ... ستبتلعها كلها .

هتف القائد الأعلى فى توتر :

– تبتلع ماذا يا رجل ؟!

أجاب فى تهالك شديد :

– (مصر) .

ثم عاد إلى غيبوبة عميقة ، تاركًا خلفه قدرًا من الذهول بلا حدود .

* * *

8 ـ الخيـط ...

توتر شديد ، ذلك الذى غمر جسد (سلوى) وكيانها كله ، وهى تهبط داخل ذلك المصعد الزجاجى الأسطوانى ، الذى يغمره ضوء أرجوانى هادئ ، حتى استقر بها فى ذلك الطابق تحت الأرضى ، حيث مقر القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ...

ولقد تضاعف توترها هذا ، وهى تدخل إلى مكتب القائد الأعلى ، الذى استقبلها بتوتر مماثل ، قائلاً :

– المعلومات التى أرسلتها شديدة الخطورة يا (سلوى) .

غمغمت :

– لهذا أرسلتها يا سيدى .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

– الدكتور (على) ؟!... من كان يمكن أن يصدق هذا .

ازدردت (سلوى) لعابها ، قائلة :

– هناك ما هو أخطر .

تساءل القائد الأعلى فى قلق :

ـ ماذا أيضًا ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ ذلك الشخص ، الذى رافق الدكتور (عدلى) ، خلال تجربته فى صحراء (النقب) ... ذلك الذى تم محو هويته ، من سجل الأقمار الصناعية .

سألها فى اهتمام أشد قلقًا :

ـ ماذا عنه ؟!

ازدردت لعابها مرة أخرى ، وقالت :

ـ ابنتى (نشوى) واحدة من العبقريات المعدودة فى (مصر) .

قال فى حزم :

ـ بل فى العالم أجمع .

كان الموقف أخطر مما ينبغى ، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من الابتسام ، عندما ذكر هذا عن ابنتها ، ثم لم تلبث أن استعادت جديتها ، وهى تكمل :

ـ لقد ابتكرت برنامجًا جديدًا ، أمكنها بوساطته استعادة المعلومات والبيانات ، التى تم محوها .

بدا الاهتمام الشديد فى صوت القائد الأعلى وملامحه ، وهو يسألها :

ـ من هو يا (سلوى) ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ؛ للسيطرة على أعصابها ، قبل أن تجيب :

ـ الجنرال (شاميت) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول بكل توتره :

ـ نائب مدير المخابرات الإسرائيلية ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ هذا يجعل الأمر بالغ الخطورة .

صمت لحظة ، ثم رفع عينيه إلى (سلوى) ، يسألها فى حذر :

ـ هل استعادت أية معلومات أخرى ؟!

أدركت (سلوى) مغزى سؤاله على الفور ، فأجابت فى سرعة :

— وجود الدكتور (صفوت) فى التجارب الأولى ، جعلها تدرك أن الدكتور (على) كـــان يعمل لحساب مركز الأبحاث العلمية ، أو أنه كان فى سبيله إلى هذا ، فلما تم رفض عرضه أو مطلبه ، دفعه الغضب إلى الاتجاه المضاد ... (إسرائيل) .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم غمغم :

— ابنتك عبقرية نادرة بالفعل .

بدا من الواضـــح أنه يريد أن يلقى ســـؤالاً آخـــر ، فأسرعت (سلوى) تقول :

— هى التى وضعت ذلك البرنامج الأمنى ، الذى يمنع ظهور بياناتك الخاصة يا سيدى .

أدرك القائد الأعلى أنها قد استوعبت ما أراد السؤال عنه ، دون حتى أن ينطقه ، فابتسم قائلاً :

— من الواضح أنها قد ورثت العبقرية من كليكما .

ثم شدّ قامته ، وهو يضيف فى حزم :

— اطمئنى على أية حال يا (سلوى) .... سأتخذ فوراً كل الإجراءات اللازمة ، لتدمير اختراع الدكتور (على) ، قبل أن ...

قاطعته فى لهفة متوترة :

— كلا .

عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يكرر فى دهشة مستنكرة :

— كلا ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة بالغة ، وهى تقول :

— هذا ما دفعنى للقدوم شخصياً يا سيدى .

وسعلت مرتين ، قبل أن تضيف بوجه محتقن :

— إننا لا نريد تدميـــر اختراع الدكتـــور (على) .... على الإطلاق .

وتضاعفت دهشة القائد الأعلى المستنكرة ...

ألف مرة ...

• • •

« أظننى قد توصلت إلى المعادلة ... » ...

قالتها (نشـــوى) فى اهتمام وانفعـــال ، وأصابعها تتحـــرك فى سرعـــة ، على الأزرار الهولوجرامية أمامها ، فاتجـــه إليهـــا (رمزى) ، يسألها فى اهتمام :

ـ أية معادلة ؟!

أجابته فى حماس :

ـ معادلة الفعل ورد الفعل .

غمغم متسائلاً :

ـ ماذا ؟!

أجابت بنفس الحماس :

ـ لقـد درسـت درجة الاضطراب الكهرومغناطيسى ، وشدة الخلل الذى يحدثه ظهور الفجوة المصاحبة له ، وربطت كل هذا بإحداثيات ظهور الفجوة وحجمها وشدتها ، واستطعت التوصل إلى المعادلة ، التى يمكننا بتطبيقها تحديد موقع وشدة الفجوة ، فور رصد الاضطراب الكهرومغناطيسى .

هتف مبهورًا :

ـ حقًا ؟!

أجابته متحمسة :

ـ كل شىء فى الكون موزون ، وتربطه علاقة ما ببعضه البعض ، إنه تأثيـر الفراشـة كما يقولون ؛ فلو قطعت جناح فراشة فى القطب الشمالى ، قد تؤدى تداعيات هذا إلى فيضانات فى (بورما)(*) .

غمغم :

ـ أعلم هذا .

ثم عاد يسأل فى حيرة :

ـ ولكن ، ووفقًا لنتائجك أيضًا ، الفجوة تظهر بعد أقل من دقيقة ، من حصول الاضطراب ، فبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ إنه مجرد بداية .

مع قولها ، دلفت (سلوى) إلى الحجرة ، فالتفت إليها كلاهما ، وسألتها (نشوى) فى لهفة :

ـ هل وافق القائد الأعلى ؟!

مطت (سلوى) شفتيها ، مجيبة :

(*) نظرية علمية صحيحة ، يطلق عليها اسم (تأثير الفراشة) .

- ذكرت له أننا لو أوقفنا أو دمرنا اختراع دكتور (عدلى) الآن ، فسنفقد معه آخر أمل ، فى استرجاع (نور) و(أكرم) والباقين ، ولكنه يرى أن استمرار الأمر شديد الخطورة ؛ لأنه لا أحد يعلم ما الذى يمكن أن يؤدى إليه هذا ، لو تم فتح الفجوة مرة ثانية ، أو لو أساءت (إسرائيل) استخدام هذا .

قال (رمزى) فى مقت :

- أيمكن أن يكون الدكتور (عدلى) خائنًا ، إلى هذا الحد ؟!

أدارت (سلوى) عينيها إليه ، ولاذت بالصمت لحظة ، قبل أن تقول :

- ربما لهذا طلب القائد الأعلى استدعاءك :

هتف فى دهشة :

- استدعائى أنا ؟!...

أجابته فى حزم :

- وفورًا .

امتقع وجهه لحظة ، ثم قال فى حزم :

- أنا فى طريقى إليه إذن .

اندفع يغادر حجرة الفريق ، فى حين سألت (سلوى) ابنتها فى قلق :

- هل علمت كيف ؟!

أجابتها (نشوى) فى اهتمام :

- التقطت طرف الخيط .

جلست (سلوى) أمام الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تقول ، دون أن تستطيع كبح توترها :

- هل علمت ماذا أصاب ذلك الفارس ؟!

التقى حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

- انهيار خلوى .

غمغمت (سلوى) :

- بالضبط .

ثم سألتها فى صوت مضطرب :

- أتدركين ما يعنيه هذا ؟!

أجابتها فى حزم :

– أن نعمل بأقصى سرعة ممكنة .

وافقتها (سلوى) بإيماءة من رأسها ، قبل أن تضيف فى توتر :

– ونأمل بأن يكونا على قيد الحياة .

نطقتها ، فارتجفت شفتاها مع نهايتها ...

هذا لأن السؤال يطرح نفسه على رأسها طوال الوقت ...

ترى هل هما على قيد الحياة ؟!...

هل ؟!...

* * *

الانتقال كان عنيفًا بالفعل ...

لقد ابتلعت تلك الفجوة السوداء ذلك الكائن العجيب ...

ثم ابتلعت بعده (نور) و(أكرم) ...

كلاهما شعر وكأنه قد سقط فى آلة شفط جبارة ، لم تشفط جسده وحده ، ولكن كيانه كله ...

وأحاطت بهما دوامة سريعة ، من مختلف الألوان ، على نحو جعلهما يشعران برغبة عارمة فى إفراغ محتويات معدتهما ...

ثم راح جسداهمـــا يدوران وســط تلــك الألـــوان ، بسرعة تتزايد ...

وتتزايد ...

وتتزايد ...

ثم فجأة ، اندفع جسداهما فى عنف ، عبر كتلة هائلة من الضوء ، ليرتطما بالصخور والرمال القاسية ، ويتدحرجان عليها فى قوة ، جعلت (أكرم) يصرخ :

– رباه ! ... هل الموت مؤلم إلى هذا الحد ؟!

إلا أن جسديهما استقرا أخيرًا ، على تلك الرمال الخشنة القاسية ، ولكن أحدهما لم يستطع فتح عينيه بعد ...

ولثوان راحا يلهثان فى قوة ، قبل أن تنتظم أنفاسهما ، ويغمغم (نور) :

غمغم (أكرم) ، وهو ما زال يقاوم رغبته العارمة ، فى إفراغ محتويات معدته ، ودون أن يفتح عينيه :

ـ إلى أين ؟!

غمغم (نور) :

ـ إلى حيث نقلتنا تلك الفجوة .

فتح (أكرم) عينيه فى بطء ، وكأنما يخشى ما ستقع عليه عيناه ...

ولقد كان على حق ، إلى حد ما ...

فما أن فتح عينيه حتى وقع بصره على ذلك الكائن العجيب ، وهو يضرب الهواء بجناحيه ، الشبيهين بجناحى خفاش عملاق ، وينهض من كبوة ما ...

وفى توتر غمغم (أكرم) ، وهو يتيقن من أن مسدسه ما زال فى قبضته :

ـ انهض ببطء يا (نور) ، فذلك الشىء انتقل معنا .

أدار (نور) عينيه إلى حيث يشير (أكرم) ، ثم نهض فى بطء حذر ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنه يعانى نفس ما نعانيه يا (أكرم) .

قال (أكرم) ، وهو يصوب مسدسه إلى ذلك الكائن فى إحكام :

ـ وماذا بعد أن يستعيد وعيه ؟!

كان ذلك الكائن قد استقر بالفعل ، ثم أدار رأسه فى بطء ، ينظر إلى (نور) و (أكرم) ، قبل أن يكشر عن أنيابه ، و ...

ولم ينتظر (أكرم) ثانية واحدة إضافية ...

كان يدرك جيدًا ، من تجربته السابقة ، أن رصاصته لا تؤثر فى جسد ذلك الكائن ...

ولكن الكائن كان يستعد للانقضاض بالفعل ...

لذا فقد اختار هدفه ...

وصوب إليه مسدسه ...

وأطلق النار ...

وعندما دوت رصاصة فى المكان ، خيل لـ (نور) أنها تخترق صمتًا دام طويلاً ...

طويلاً جدًا ...

ولكن المهم أنها قد أصابت هدفها ...

وتراجع ذلك الكائن ، فى حركة عنيفة ، وهو يطلق واحدة من صرخاته فوق الصوتية ...

وعندما أدار الكائن رأسه فى حركة حادة ، أطلق (أكرم) رصاصته الثانية ...

وأصاب هدفه مرة أخرى ...

وأمام عينى (نـــور) ، دار الكائن حـــول نفسه مرتين ، ثم هوى ...

وبمنتهى العنف ...

ومع سقوطه ، عاد ذلك الصمت الرهيب يغلف العالم ، الذى يقفان فيه ...

وفى تســاؤل ، التفت (نـــور) إلى (أكـــرم) ، الذى انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كنت أعلم أن جسده مضاد للرصاص ، فأطلقت النار على عينيه .

وعندما رأى الامتعاض على ملامح (نور) ، استدرك فى عصبية :

ـ أعلم أنها صورة بشعة ، ولكن مشهد التهامه لنا سيكون أكثر بشاعة حتمًا .

لم يعلق (نور) على عبارته ، ولكن أدار عينيه فيما حوله ، وكأنما يدرس ذلك العالم ، الذى وصلا إليه ...

كان ما حوله يوحى بأنهما قد عادا ملايين السنين إلى الوراء ..

السماء التى امتزجت زرقتها بحمرتها ...

السحب الداكنة ، المتناثرة فيها ...

البراكين التى تبدو من بعيد ، والتى تتصاعد منها أدخنة سوداء كثيفة ...

اللون الأحمر ، الذى ينعكس على كل شىء ...

الجبال ..

والرمال ...

وحتى على جسديهما ...

كان الضوء المائل إلى الحمرة يغمر المكان ، ولكن لم يكن هناك وجود للشمس فى السماء ...

كان هناك فقط قمر ...

بل قمران ...

قمر قريب ، يبدو هائل الحجم ...

وآخر بعيد ، يبدو فى حجم قمرنا المعتاد ...

وفى توتر شديد ، غمغم (أكرم) :

ـ أين نحن يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول :

ـ أنا أطرح السؤال نفسه يا صديقى .

أشار (أكرم) إلى الكائن الصريع ، قائلا فى عصبية :

ـ المهم ألا يكون فيه المزيد ، من هذه الأشياء .

عاد (نور) يدير عينيه حوله ، وهو يغمغم :

ـ لو أنه أتى من هذا العالم ، فهو لم ينشأ منفردًا حتمًا .

صمتا لحظة ، وهما يتأملان ما حولهما ، قبل أن يضيف (نور) :

ـ الأمر الإيجابى هو أن الهواء يسمح لنا بالتنفس على نحو طبيعى ، والجاذبية مناسبة لجسدينا ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، والتقى حاجباه ، وضاقت عيناه ، وهو يحدق فى تلك البراكين ، التى تبدو من بعيد ...

ومع بتره لعبارته ، التفت إليه (أكرم) ، متسائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار (نور) إلى تلك البراكين البعيدة ، قائلاً فى توتر :

ـ تلك البراكين هناك .

سأله (أكرم) ، وقد سرى المزيد من التوتر فى جسده :

ـ ماذا بها ؟!

اندفع (نور) إلى الأمام ، متجاوزًا ذلك الكائن الصريع ، وهو يقول بنفس التوتر :

ـ إنها ليست ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتطم جسده فى شدة ...

ارتطم بشىء ، جعله يتراجع فى حركة حادة ، وجعل (أكرم) يسحب مسدسه مرة أخرى فى عصبية ...

شىء قلب الأمور كلها فى رأس (نور) ...

وبمنتهى منتهى العنف ...

* * *

« مهمتك ليست سهلة يا (رمزى) ... » ...

قالها القائد الأعلى فى حزم ، جعل (رمزى) يتنحنح مرتين ، قبل أن يتساءل فى توتر :

ـ لم أعلم شيئًا عنها بعد يا سيدى .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ أنت تعرف الدكتور (عدلى) ... أليس كذلك ؟!

تنحنح (رمزى) مرة أخرى ، ثم أجاب فى شىء من الحذر ، لم يدر له سببًا منطقيًا :

ـ ليس بصفة شخصية ... لقد التقينا فقط مرتين .

تابع القائد الأعلى ، مكملاً فى صرامة :

ـ مرة فى مؤتمر الطاقة ، منذ ثلاث سنوات ، ومرة ثانية ف مهرجان العلوم العام الماضى .

تضاعف حذر (رمزى) ، وهو يغمغم :

ـ بالضبط .

تحرك القائد الأعلى فى مكتبه ، وهو يسأله :

ـ فى المرتين تحدثتما لعشر دقائق تقريبًا .

غمغم (رمزى) ، وحذره يتصاعد :

ـ هذا صحيح .

توقف القائد الأعلى ؛ ليسأله فى اهتمام :

ـ وهل كانت هذه الفترة تكفيك ؛ لتحليل شخصيته واستيعابها ؟!

صمت (رمزى) لحظة ، ثم أجاب ، والحذر يأبى أن يفارقه :

ـ كل الخبراء النفسيين تتولد داخلهم غريزة تلقائية ، تجعل عقولهم تعمل وحدها ؛ لتحليل كل شخصية تلتقى بها .

تنهد القائد الأعلى فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ عظيم ... هذا سيوفر الكثير من الوقت .

سأله (رمزى) ، وتوتره وحذره يكادان يقفزان إلى ذروتهما :

ـ الوقت لماذا ؟!

شدّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول :

ـ نحن أمام مشكلة شديدة التعقيد يا دكتور (رمزى) .. الدكتور (عدلى) ابتكر وسيلة جديدة ، تعتمد على نظرية لم تكتمل ، من نظريات (أينشتاين)(*) ، والوسيلة التى ابتكرها ، لكسر قـوة الجاذبية الأرضية ، توصلت (سلوى) و(نشوى) إلى أنها المسئولة عن ظهور تلك الفجوة التى ابتلعت (نور) و(أكرم) ، والجنود وفريق العلماء .

شعر (رمزى) بالتوتر يسرى فى جسده ، والقائد الأعلى يكمل :

ـ المشكلة لا تكمن فى هذا ، ولكن فى أننا ، لو قمنا بتدمير اختراع الدكتور (عدلى) ، ولدينا فرق خاصة ، قادرة على ذلك بالفعل ؛ لفقدنا الأمل تمامًا فى استعادة الجميع ، لو أنه هناك أمل فى استعادتهم ، ولهذا ففرصتنا الوحيدة هى أن نقنع الدكتور (عدلى) ، باستخدام كشفه هذا لحسابنا .

(*) ألبرا أينشتاين : (14 مارس 1879 ـ 18 أبريل 1955م) ، ألمانى سويسرى أمريكى الجنسية ، يهودى الخلفية ، من أعظم علماء القرن العشرين ، صاحب نظريتى النسبية العامة والخاصة ، فاز بجائزة (نوبل) عام 1921م

تساءل (رمزى) ، مستعيدًا كل حذره :

ـ وما دورى أنا هنا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ لك كل الدور يا دكتور (رمزى) ، فالآن مباشرة ، سيقوم فريق خاص من رجالنا بنقلك إلى حيث تلتقى بالدكتور (عدلى) .

انفرجت شفتا (رمزى) ؛ ليلقى سؤالاً ما ، إلا أن القائد الأعلى تابع بمنتهى الحزم :

ـ إلى قلب (إسرائيل) .

وعلى الرغم من وطنيته ، هوى قلب (رمزى) بين قدميه ... كالحجر .

* * *

9 ـ المفاجآت ...

ارتسمت ابتسامة ظافرة ، على وجه الجنرال (شاميت) ، نائب مدير المخابرات الإسرائيلية ، وهو يقف مع الدكتور (عدلى) ، فى ذلك الجزء المقفر من صحراء النقب ، وأشار بيده لما حوله ، قائلاً :

ـ الأرض كلها ملكًا لتجربتك الجديدة يا دكتور (عدلى) ... أيها العبقرى الفذ .

كانا يقفان على مسافة مائتى متر ، من مكعب جديد هائل الحجم ، يزن ألفى طن على الأقل ، وعلى مسافة خمسين مترًا منه ، استقر مدفعان صغيران ، مصوبان إليه ، ولكن الدكتور (عدلى) بدا شديد التوتر ، وهو يغمغم :

ـ عبقرى فذ !!

ربَّت (شاميت) على كتفه ، قائلاً :

ـ ليس هناك أدنى شك فى هذا ؛ أنت عبقرية فذة ، يستحيل أن يجود الزمان بمثلها ... التاريخ سيحفر اسمك حتمًا بحروف من ذهب ؛ لأن كشفك قد قلب موازين القوة فى العالم رأسًا على عقب .

تطلع إليه (عدلى) لحظات فى صمت ، قبل أن يغمغم :

ـ التاريخ سيذكر اسمى بالتأكيد .

أشار (شاميت) بيديه ، قائلاً فى حماس مصطنع :

ـ وعلى لافتة مضيئة ، لا تنطفئ أبدًا .

أومأ الدكتور (عدلى) برأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم أخرج جهاز التحكم من جيبه ، فتعلق به بصر (شاميت) ، وهو يقول فى لهفة :

ـ أأنت واثق من أن النتيجة هذه المرة ستختلف ؟!

غمغم (عدلى) :

ـ دون أدنى شك .

أطلق (شاميت) ضحكة هستيرية ، شفت عن ذلك الانفعال فى أعماقه ، قبل أن يلوح بذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ـ أكاد أتخيل مسبقًا ذلك المكعب الهائل ، وهو ينطلق فى الفضاء ، فى عكس اتجاه الجاذبية الأرضية ؛ ليتجمد فى الفضاء ، وينتهى أمره إلى الأبد .

غمغم الدكتور (عدلى) :

ـ أستطيع أن أضمن لك هذا .

ورفع عينيه إليه فى بطء ، مكملاً :

ـ سينتهى أمره تمامًا .

عاد (شاميت) يربت على كتفه ، وهو يقول فى حماس :

ـ كنت واثقاً من أنك ستمنحنا ما نريد .

تطلع إليه الدكتور (عدلى) لحظات فى صمت ، قبل أن يغمغم :

ـ عندما رفضت (مصر) الاعتراف بقـوة كشفى ، أصابنى غضب هادر ، أفقدنى صوابى ، وأشعل النيران فى عقلى وأعصابى .

قال (شاميت) ، متصنعًا الحماس :

ـ أمر طبيعى ... إنهم لم يستطيعوا تقدير عبقريتك .

هزَّ (عدلى) رأسه فى بطء ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـ ولكن مهما بلغ غضبى ، ومهما بلغت ثورتى ، لا ينبغى أن ينسينى هذا أبدًا الحقيقة الأساسية .

ردد (شاميت) فى حذر قلق :

ـ أيه حقيقة أساسية ؟!

اعتدل الدكتور (عدلى) ، وشد قامته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ أننى مصرى .

وضغط زر جهاز التحكم ..

بمنتهى الحسم ...

والحزم ...

* * *

« هذا الجهاز حول عنقك ، قادر على خداع وسائل الفحص الإسرائيلية ... » ...

قالها قائد الفرقة الخاصة ، وهو يثبت جهازًا دقيقًا على عنق (رمزى) ، ثم يخفيه برباط عنقه ، فغمغم (رمزى) ، غير قادر على كبح جماح توتره :

ـ الإسرائيليون لديهم وسائل أمن متطورة للغاية .

... يقول :

ــ ونحن لدينا مركز أبحاث متطور لغاية الغاية .

تنهد (رمزى) وقال :

ــ وأنا أثق به تمام الثقة .

انتهى قائد الفريق من تثبيت الجهاز ، فاعتدل فى وقفة عسكرية ، وقال :

ــ أقمارنا الصناعية رصدت منطقة ضعيفة فى حدودهم ، ولقد تم التنسيق مع الفلسطينيين فى الجانب الآخر ؛ لعبورك إلى هناك دون أن تلتقطك المجسَّات الأمنية ، و ...

بتر عبارته فجأة أزيز متصل من ساعته ، فأسرع يرفعها إلى شفتيه ، قائلاً فى احترام شديد :

ــ أوامرك يا سيادة القائد الأعلى .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى القائد الأعلى ، ثم أنهى المحادثة بنفس الاحترام الشديد :

ــ علم وينفذ يا سيدى .

ثم أدار عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً فى توتر ، لم يستطع كتمانه :

ــ ألغيت المهمة .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ــ ألغيت ؟!

الكلمة نفسها رددها أمام القائد الأعلى ، فى مكتب هذا الأخير ، الذى بدا شديد التوتر ، وهو يقول :

ــ لم يعد هناك مبرر لمهمتك يا دكتور (رمزى) .

غمغم (رمزى) فى حذر :

ــ لست أفهم .

ناوله القائد الأعلى ورقة ، وهو يقول :

ــ لقد تلقينا هذا صباح اليوم .

التقط (رمزى) الورقة ، وقرأ عليها كلمة واحدة ...

« آسف ... » ... مع توقيع الدكتور (عدلى عامر) ...

وفى توتر ، غمغم (رمزى) :

ــ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

— نحن أيضًا ألقينا السؤال على أنفسنا ، وحاولنا فهم مغزى الكلمة ، حتى رصدت أقمارنا هذا .

لوح بيده ، فارتسمت صـورة هولجرامية وسـط الحجرة ، لانفجار قوى ، يحتل مساحة كبيرة من صحراء النقب ، وقال القائد الأعلى :

— نظم التعقب الأمنى لدينا ، أثبتت تواجد الدكتور (عدلى) ، مع شخص تم محو بياناته ، فى منطقة الانفجار ، قبل جزء من الثانية من وقوعه .

تراجع (رمزى) ، هاتفًا :

— رباه !!... هل تعنى يا سيدى أنه ...

قبل أن يكمل سؤاله ، أجابه القائد الأعلى فى مرارة :

— نعم للأسف ... الدكتور (عدلى) أراد أن يكفر عما فعل ، فأقدم على ما كنا نحاول تفاديه ... دمَّر جهازه ، وقتل نفسه مع (شاميت) معًا .

امتقع وجه (رمزى) فى شدة ، فى حين تابع القائد الأعلى فى أسى :

— وهذا يعنى أننا قد فقدنا آخر أمل ، فى استرجاع (نور) و(أكرم) ، والجنود والعلماء الذين فقدناهم .

وازداد امتقاع وجه (رمزى) ...

بمنتهى الشدة ...

* * *

شعر (أكرم) بتوتر ما له من مثيل ، وهو يتراجع ، ويلوح بمسدسه فيما حوله ، هاتفًا :

— ما هذا يا (نور) ؟!... أين نحن بالضبط ؟!

حمل صوت (نور) كل توتره ، وهو يقول :

— أيًّا كان ما نحن فيه ، فهو حتمًا ليس الماضى السحيق ، كما يبدو عليه .

تراجع (أكرم) مصدومًا ، وهو يغمغم :

— وكيف عرفت ؟!

أشار (نور) إلى البراكين البعيدة ، قائلاً :

— انظر هناك يا صديقى ... تلك البراكين .

ضاقت عينا (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ تبدو لى عادية يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ فى البداية هى كذلك ... ولكن تابع الأدخنة المتصاعدة منها فى انتباه .

ضاقت عينا (أكرم) أكثر ، وتوترت أصابعه الممسكة بمقبض مسدسه ، وهو يتابع الأبخرة فى اهتمام ، قبل أن تتسع عيناه ، ويزداد توتر أصابعه على مقبض مسدسه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! ... إنه مشهد يتكرر على نحو منتظم يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ بالضبط ... إنه مشهد ... فيلم يتم عرضه على نحو متكرر ؛ ليمنح هذا العالم مظهرًا ، أشبه بما كان عليه ، فى عصور ما قبل التاريخ .

سأله (أكرم) وتوتره يتزايد :

ـ ما الذى ارتطمت به إذن ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ حاجز من الطاقة الصافية يا صديقى ... حاجز يمنع ما يوجد هنا ، من مغادرة المكان .

بهت (أكرم) للجواب ، فتلفت حوله فى عصبية ، وهو يقول :

ـ أتعنى أننا داخل ما يشبه حديقة حيوان شبه مغلقة ؟!

أجابه (نور) فى انفعال :

ـ بالضبط ... جهة ما أعدت هذا المكان ، وزودته بوسائل تكنولوجية حديثة ؛ لتحفظ فيه كائنات من عصور مضت ، أو ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، مما جعل (أكرم) يسأله فى عصبية بالغة :

ـ أو ماذا ؟!

حمل صوت (نور) كل توتره ، وهو يجيب :

ـ أو من كواكب أخرى .

بدا صوت (أكرم) مرآة لصدمته ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أننا قد نكون على كوكب آخر؟!

مط (نور) شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ أو فى عالم آخر .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

ــ وهل تعتقد أنه أمامنا فرصة ؛ للعودة إلى عالمنا ؟!

استغرق (نور) فى التفكير لحظات ، ثم أجاب فى بطء :

ــ فرصتنا الوحيدة هى أن ...

قبل أن يتم عبارته ، انبعث من خلفهما ذلك الصوت المخيف ...

الصوت الذى يجمع ما بين الزمجرة والفحيح ...

وبكل سرعتهما وتوترهما ، استدار الاثنان إلى مصدر ذلك الصوت ...

ثم تراجعا مصعوقين ...

فما رأياه أمامهما كان مخيفًا ..

رهيبًا ..

وإلى أقصى حد ...

* * *

امتقع وجه (سلوى) فى شدة ، وهى تغمغم :

ــ دمّر اختراعه ؟!... أيعنى هذا أننا قد فقدنا الأمل فى ... .

قاطعها (رمزى) فى حزم :

ــ لا ، كل ما يعنيه هذا ، هو أنه علينا البحث عن سبيل آخر .

غمغمت فى يأس بائس :

ــ سبيل آخر ؟!... كيف ؟!

مسحت (نشوى) دموعها ، وهى تقول :

ــ علمنى أبى منذ طفولتى ، أنه ما من مشكلة بلا حل ... كل ما على المرء هو أن يدرس المشكلة جيدًا ، ويتعرف أبعادها ، وهذا سيقوده حتمًا إلى حل ما .

هتف (رمزى) ، وهو يشير إليها :

ــ بالضبط .

هزّت (سلوى) رأسها فى قوة ، وهى تقول :

ــ ولكن المشكلة لها أبعاد كثيرة ... اختراع الدكتور (على) ، الذى صنع خللاً كهرومغناطيسيًا فى المجال الأرضى ؛ بسبب عبثه

بالمجال الموحد ... وفجوة عجيبة تظهر مع كل خلل ، وفى كل مرة تنقل إلينا شيئًا من زمن مختلف ، أو عالم مختلف ... فجوة لا ندرى على ماذا تنفتح ، ولا إلى أى عالم تختطف الأشياء .

اعتدلت (نشوى) قائلة ، فى حماس مفاجئ :

ـ إلا أن هذا لا يعنى أننا لا نملك شيئًا .

التفتت إليها (سلوى) فى لهفة ، وتطلع إليها (رمزى) فى اهتمام ، ولكنها قفزت من مقعدها تلتقط جهاز الاتصال الخاص بها ، وتضغط أزراره ، فسألتها (سلوى) بكل انفعالها :

ـ بمن تتصلين ؟!... القائد الأعلى ؟!

أجابتها (نشوى) فى حماس :

ـ بل الدكتـــور (صـــفوت) ؛ فما لديه وما لدينا قد يحمل لنا الأمل ... آخر أمل .

ولم ينبس (رمزى) أو (سلوى) ببنت شفة ...

إطلاقًا ...

* * *

« رباه !... بهذا الحجم ؟!... » ...

هتف (أكرم) بالعبارة ، وهو يحدق فى كائن هائل الحجم ، يبلغ طوله عشرة أمتار على الأقل ، وعرضه مترين ، وله عينان كبيرتان ، تتطلعان إليهما بنظرة باردة مخيفة ، فى حين تبرز أنيابه من بين فكيه الهائلين ، موحية بطبيعته المفترسة الوحشية ...

كان تمساحًا ...

ولكن فى خمســة أضــعاف أضخم التماسيح المعــروفة فى عالمنا ...

على الأقل ...

وكان ذيله الهائل يتحرك حركة عصبية ، جعلت (نور) يغمغم :

ـ ذلك الشىء لن توقفه أسلحتنا .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ ولكن علينا أن نحاول .

وفى آن واحد ، أطلق كلاهما مسدسه ...

وعبر ذلك العالم الوهمى الزائف ، دوت رصاصات مسدس (أكرم) ، واقترنت بأزيز أشعة مسدس (نور) ...

ولكن (نور) كان على حق ...

فهذا لم يوقف الزاحف الهائل ...

وهنا تراجع الرجلان ...

ثم انطلقا يعدوان مبتعدين ...

ومع ضخامة حجمه ، زحف الزاحف الهائل خلفهما فى بطء نسبى ، و(نور) يهتف :

ـ هناك ... ذلك الكهف هناك يا (أكرم) ... ربما لو بلغناه ...

لم يتم عبارته ، مع فرقعة دوت فى المكان ...

ثم غمرها ضوء قوى ...

وبكل توتره ، هتف (أكرم) :

ـ ما هذا أيضًا ؟!

قال (نور) ، وهو يواصل الجرى إلى جواره :

ـ رباه !... فجـــوة بيضاء ... لو صـــح ما أفكر فيه ، فهى فرصتنا للنجاة ، أو ...

مرة أخرى لم يتم عبارته ، وإنما صرخ :

ـ أسرع يا (أكرم) ... أسرع .

انطلقا يعدوان بكل قوتيهما ، وذلك الزاحف الهائل يطاردهما ، واتجها نحو ذلك الكهف ، الذى انبعث منه ضوء قوى ، و(أكرم) يهتف :

ـ (نور) ... هل تعتقد ...

هتف به (نور) ، قبل أن يكمل سؤاله :

ـ نعم يا صديقى ... قد يكون هذا سبيلاً للعودة ...

كان ذلك الزاحف الهائل يزيد من سرعتـــه خلفهمـــا ، وهما يعدوان ...

ويعدوان ...

ويعدوان ...

حتى بلغا ذلك الكهف ...

وعبره واصلا عدوهما ، ودار بينهما ذلك الحديث ، الذى بدأت به روايتنا ، حتى قطـــع عليهما ذلـــك (التيرانوصور) نهاية النفق ...

وبدا من الواضح أنه لم يعد هناك من أمل فى العودة ...

أو فى النجاة ...

أى أمل ...

* * *

« عكس التأثير ؟!... » ...

نطقها الدكتور (صفوت) فى بطء وتفكير ، قبل أن يرفع عينيه إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ من الناحية النظرية ، يمكننا أن نفعل هذا يا (نشوى) ، من دون حتى تطبيق نظرية المجال الموحد .

همّت (سلوى) بقول شىء ما ، عندما استدرك فى سرعة :

ـ ولكن تطبيق هذا أمر آخر .

دفعت (نشوى) نحوه لوحًا إليكترونيًا ، وهى تقول :

ـ لقد وضعت هنا مشروعًا كاملاً لهذا .

مس سطح اللوح ، فانفتحت أمامه صفحات المشروع ، وسبحت فى الهواء هولوجراميًا ، وراح هو يتابعها فى اهتمام ، قبل أن يقول مبهورًا :

ـ مدهش ... مشروع عبقرى بالفعل ، ولكن ...

هتف به (رمزى) :

ـ ولكن ماذا هذه المرة ؟!

أجابه فى سرعة ، مشيرًا بسبابته :

ـ ما زالت تنقصنا بعض المعلومات .

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ إننى أعمل على استكمالها الآن .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ وماذا عن ذلك الذى لدينا ؟!

أطل التساؤل من عيونهم جميعًا ، فتابع فى حزم :

– لم نحسم أمره بعد ... أهو (أكرم) الذى نعرفه ، وقد عاد من المستقبل لتحذيرنا ، أم هو من عالم آخر .

غمغم (رمزى) :

– وما الفارق .

أجابته (سلوى) فى توتر :

– فلسفة السفر عبر الزمن ، فلو أن هذا هو (أكرم) عالمنا ، فهذا يعنى أن الفجوة قد عاودت الظهور ، على نحو أو آخر ، وأنها كانت من الشدة والقوة ، حتى أحدثت ذلك الدمار الشامل ، الذى عاد إلى الماضى ليحذرنا منه ، أو لو كان من عالم آخر و ...

قاطعتها (نشوى) فى عصبية :

– فسيقضى عليه الانهيار الخلوى خلال ساعات قليلة .

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تغمغم :

– (نور) و(أكرم) ابتلعتهما الفجوة ، قبل ظهوره بساعات .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

– ولهذا لابد أن نبدأ بأقصى سرعة .

لم تكـد تنطقها ، حتى ارتفـع أزيز جهـاز اتصـال الدكتور (صفوت) ، فرفعه إلى أذنه ، قائلاً فى توتر :

– هل من جديد؟!

انعقد حاجباه ، وهو يستمع لمحدثه فى اهتمام ، ثم أنهى المحادثة ، قائلاً :

– لقد استعاد وعيه ... وربما ... أقول ربما نحصل منه على معلومة ما .

لم تمض دقائق ثلاث على قوله هذا ، حتى كان الجميع يلتفون حول بديل (أكرم) ، الذى وعلى الرغم من استعادته وعيه ، بدا متهالكًا إلى حد كبير ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، مغمغمًا :

– ياه يا رفـاق ، تبـدون أصـغر سنًا مما رأيتكم عليه آخر مرة .

سألته (سلوى) فى توتر :

– أأنت (أكرم) عالمنا ؟!

بدا وكأن السؤال أدهشه ، إذ عاد يدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يقول فى توتر :

– أنت (سلوى) ... أليس كذلك ؟!

غمغمت فى توتر :

– بلى .

تابع فى تهالك :

– وأنت (رمزى) ، وهـذه زوجتك (نشـوى) ، ابنة (نور) و(سلوى) .

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تقول :

– رباه ! ... أنت (أكرم) عالمنا إذن !!

هتفت به (سلوى) بكل اللهفة :

– ماذا حدث ، بعد أن ابتلعتكما تلك الفجوة يا (أكرم) ؟!.. وأين (نور) ؟!... ماذا أصابه ؟!

ارتسم حزن عميق على وجه (أكرم) ، وهو يقول فى تهالك يتزايد :

– (نور) لم ينج ... لقد التهمه الـ ... الـ ...

ثم هوى مرة أخرى فى غيبوبته العميقة ...

وهوت معه قلوبهم جميعًا ...

فى عنف .

* * *

10 ـ الأمل الضائع ...

فجأة ، حدث ذلك التطور غير المتوقع على الإطلاق ...

كان ذلك (التيرانوصور) الهائل يفتح فكيه ، عند نهاية النفق ، والزاحف الهائل يقترب ، و(نور) و(أكرم) لا يملكان ما يقاتلان به ، و ...

وفجأة ، انبعث صوت تلك القذيفة ...

ودوى الانفجار ..

وبزمجرة هائلة ، مال (التيرانوصور) العملاق ، ثم هوى أرضًا ، مع فجوة كبيرة فى جانبه ..

ومع دوى الانفجار ، شعر (نور) و(أكرم) بصمم عجيب ، حجب عنهما كل ما يحيط بهما من أصوات ، و ...

وفجـــأة ، ظهـــرت تلك الهليوكوبتر ، التى ابتلعتها الفجوة من قبل ...

وعبر زجاج الهليوكوبتر الأمامى ، أشار قائدها إلى (نور) و(أكرم) بالانخفاض ، فانبطح الاثنان أرضًا ، فى نفس اللحظة التى فتح فيها التمساح الهائل فكيه عن آخرهما ...

وضغط قائد الهليوكوبتر زر الإطلاق ...

وانطلق صاروخ آخر ، عبر النفق ...

ثم عبر فكى التمساح الضخم ...

ودوى انفجار آخر مكتوم ...

انفجار تناثرت معه أشلاء التمساح الضخم فى النفق كله ، حتى إنها غطت جسدى (نور) و(أكرم) ، والأخير يهتف :

ـ هل ؟!... هل نجونا ؟!

هبط الطيار بالهليوكوبتر ، إلى جوار جثـــة (التيرانوصور) الضخم ، ووثب هو منها ، واندفع نحو (نور) و(أكرم) ، هاتفًا :

ـ أأنتما بخير ؟!

نهضا ينفضان أشلاء التمساح الهائل عن جسديهما ، و(نور) يسأله :

ـ هل نقلتك الفجوة إلى هنا ؟!

أجابه الطيار ، وهو يعاونه على النهوض :

ـ الكل انتقل إلى هنا .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ وهل الجميع بخير ؟!

هزَّ الطيار كتفيه ، وهو يجيب :

ـ خسرنا ثلاثة جنود ، التهمتهم الوحوش هنا .

سأله (نور) :

ـ وأين الباقين إذن ؟!

أجابه الطيار ، وهو يقودهما نحو الهليوكوبتر :

ـ الكل يحتمى فى كهف مرتفع ، العلماء يحاولـــون دراسة الموقف ، خاصة وأن كل أجهزتهم تعمـــل بكفاءة ، بعـــد انتقالها إلى هنا .... أما الجنود فهم يتولون أمر الحراسة ، وتأمين الطعام والماء ...

غمغم (أكرم) :

ـ هل صنعتم مجتمعًا بهذه السرعة ؟!

استقر الثلاثة داخل الهليوكوبتر ، التى ارتفع بها الطيار ، وهو يقول :

ـ لم يكن أمامنا سوى هذا ... ولكن مشكلتنا الوحيدة هى أنه ، حتى العلماء يجهلون أين نحن بالضبط ... إنه عالم وهمى ، يحوى عينات من كل الأزمنة السحيقة ، وهناك قبة من الطاقة تحيط به ، وكل ما لدى العلماء من أجهزة يعجز عن تجاوزها .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ السؤال هو : هل اعتبرنا من صنعوا هذا العالم الوهمى ، مجرد إضافة جديدة فيه .

انعقـــد حاجبا الطيار فى شدة ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر ، فى حين تساءل (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

غمغم (نور) ، وهو يتلفت حوله :

ـ الواقع أننى أسأل نفسى : هل يستمتعون بمراقبتنا الآن ؟!

وكان سؤاله فى محله تمامًا ...

هل ؟!..

* * *

« ليست هناك فائدة !!... » ...

انهارت (سلوى) باكيــة ، وهى تهتــف بالعبــارة ، فغمغم (رمزى) ، وهو يشعر بمرارة فى حلقه :

ـ ربما لم يكن ...

لم يستطع إكمال عبارته ، مع غصة منعته من المواصلة ، فتابعت (سلوى) :

ـ لقد قالها (أكرم) ... قال إن (نور) لم ينج ...

بترت عبارتها ، وهى تحدق مستنكرة فى ابنتها ، التى تعمل أصابعها فى سرعة مدهشة ، على أزرار اللوحة الهولوجرامية ، فصاحت فيها فى غضب :

ـ هل ماتت مشاعرك أم ماذا ؟!

أجابتها (نشوى) ، دون أن تلتفت إليها :

ـ حتى ولو كان هذا هو (أكرم) عالمنا بالفعل ، فالمستقبل بالنسبة لنا لم يحدث بعد .

صمتت لحظة ، ثم أضافت فى حـــزم ، بدا شديد الشبه بحزم والدها :

ـ وقد لا يحدث أبدًا .

غمغم (رمزى) :

ـ ولكن وفقًا لفلسفة السفر عبر الزمن ، لو لم يحدث هذا ، لما عاد (أكرم) إلى زمننا ، ولما(*) ..

قاطعته فى صرامة :

ـ ما زال المستقبل لم يحدث .

غمغم :

ـ ولكن .

لم تتوقف لحظة عن التعامل مع لوحة الأزرار الهولوجرامية ، وهى تقاطعه فى حزم :

(*) هناك كتب علمية عديدة، حول (فلسفة السفر عبر الزمن) ؛ لأنها نظريات [illegible] نسبية (أينشتين) .

ــ لو نجحنا فى تغيير هــذا ، سيختفى (أكرم) الموجود حاليًا بكل بساطة ..

ثم توقفت ، والتفتت إلى زوجها وأمها ، مردفة :

ــ وسيعود أبى و(أكرم) والباقون إلينا .

ساد صمت مهيب فى المكان عقب قولها ، ثم اتجهت (سلوى) نحو ابنتها ، ووضعت يدها على كتفها ، مغمغمة فى تأثر :

ــ أنت بالفعل ابنة (نور) .

وغمغم (رمزى) بابتسامة حانية :

ــ ولها كل الفخر .

مع قوله ، نهضت (نشوى) من مقعدها ، وعانقت أمها فى قوة وحرارة ، وانسالت الدموع من عيونهما معًا ، قبل أن تفلت (سلوى) ابنتها ، وتقول فى حزم :

ــ دعينا لا نضيع لحظة واحدة إذن .

ثم جلست على المقعد أمام جهازها ، مستطردة :

ــ فكل دقيقة قد تكون الفيصل ، فى حياة كل من نحبهم .

وعلى الرغم من رصانته المعهودة ، لم يستطع (رمزى) كبح تلك الدمعة الحارة ، التى انسالت على وجهه ...

ساخنة كالحمم ...

* * *

استقبل ذلك المجتمع العسكرى العلمى الصغير ، لمن ابتلعتهم الفجوة ، (نور) و(أكرم) فى حرارة شديدة ، وهتف قائد الفرقة العسكرية فى حماس :

ــ الآن صار هناك أمل .

تردد (نور) ، وهو يقول :

ــ الواقع أننى لست أملك أيًا من الحلول الآن .

هتف أحد العلماء :

ــ ولكن وجودك وضع اللبنة الأولى يا سيادة المقدم .

وقال أحد العسكريين فى اعتزاز :

ــ لقد صار لنا قائد نلتف حوله .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشـــة ، فى حين غمغم (أكرم) بابتسامة مزهوة :

– ونعم القائد .

رفع (نور) سبَّابته ، وهو يقول :

– ولكننى لست ...

قاطعه رئيس فريق العلماء ، قائلاً :

– القائد الذى يؤمن به الكل ، ويثقون فى قيادته ، هو بداية طريق لأى تقدم يا سيادة المقدم ، إننا نختلف كثيرًا فيما يجب ن نتخذه من سبل ، أما فى وجودك فسيطيعك الجميع دون خلاف ؛ ن أحدًا لم ينس كيف قدت العالم كله ؛ لتحرير الأرض من حتلال غزاة الفضاء(*)

صمت (نور) بضع لحظات ، ثم شدَّ قامته ، وهو يقول فى حزم ، يصدر إلا عن قائد حقيقى :

– أريد أن أعرف أولاً كل ما حصلتم عليه من معلومات ، منذ سلتم إلى هنا .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (76) ، من سلسلة (ملف المستقبل)

أمور علمية ، تحتاج فقط إلى التكنولوجيا المناسبة لتنفيذها عمليًا ؟

تقدم رئيس فرق الجند ، حتى وقف أمام (نور) ، ثم أدّى التحية العسكرية ، فى احترام شديد ، قبل أن يقول :

– لقد قمت بإرسال أربع فرق بحث ، واستعنت بالهليوكوبتر ، وتوصلنا إلى أننا داخل دائرة كبيرة ، نصف قطرها عشرة كيلومترات ، وتحيط بها قبة من طاقة صافية قوية ، لم تنجح حتى قاذف الهليوكوبتر فى اختراقها ، وكل ما هنا هو مجموعات من وحوش مختلفة الأشكال ، منها ما هو معــروف تاريخيًّا ، كديناصورات ما قبل التاريخ بصورها المختلفة ، ومنها ما لم يعرفه العلم قط .

قال أحد العلماء فى توتر :

– يبدو أننا داخل مزرعة إنتاج حيوانى خاصة ، تستخدم فيها تقنية شديدة التطور ؛ لاستنساخ حيوانات ما قبل التاريخ ، ولإنتاج أنماط جديدة منها ، عبر تقنية هندسة الوراثة المتقدمة(*)

بدا (أكرم) شديد التوتر ، وهو يستمع إلى هذا ، كشأنه كلما استمع إلى أمور علمية متطورة ، فى حين تساءل (نور) :

– السؤال هو : هل يحدث هذا فى مستقبل الأرض ؟!

(*) كلها أ...

تبادل العلماء نظرة قلقة ، قبل أن يجيب رئيسهم :

ـ الواقع أننا قد افترضنا هذا .

قال (نور) فى حزم :

ـ منذ هذه اللحظة سنطرح كل الافتراضات جانبًا ، وسنعتمد على الحقائق والمعرفة وحدهما .

التمعت عينا رئيس فريق العلماء ، وهو يقول فى حماس :

ـ كما تأمر أيها القائد ، سنستخدم كل ما لدينا ؛ لتحديد موقعنا الفعلى .

قال (نور) بنفس الحزم :

ـ استخدم الخرائط الكونية أيضًا .

بدا الحماس على وجوه العلماء ، وهم يبدءون عملهم على الفور ، فى حين التفت (نور) إلى قائد العسكريين ، قائلاً :

ـ أريدك أن تطلق بعض الدوريات ، والاستعانة بالهليوكوبتر أيضًا .

غمغم قائد العسكريين :

ـ لقد خرجت تلك الدوريات أكثر من أربع مرات أيها القائد .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ فى هذه المرة سيختلف ما ستبحثون عنه .

شدّ قائد العسكريين قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ عمّ تريدنا أن نبحث أيها القائد .

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ عن المنطقة التى تبتعد عنها كل الوحوش هنا ... المنطقة التى اعتادت تحاشيها ، فتقترب إلى مسافة منها ، ولكنها لا تصل إليها أبدًا ؛ فهذه يمكن أن تكون نقطة الضعف .

لم يستوعب قائد العسكريين الأمر تمامًا ، إلا أنه رفع يده بالتحية العسكرية فى قوة ، وهو يقول :

ـ أمرك أيها القائد .

ظل (أكرم) صامتًا طوال الوقت ، حتى انصرف قائد العسكريين ، ثم قال فى إعجاب :

ـ أنت قائد حقيقى يا (نور) .

أشار (نور) بيده ، إشارة ليست ذات معنى محدد ، وقال :

ـ أنا وأنت لدينا مهمة خاصة يا (أكرم) .

ربت (أكرم) على مسدسه ، قائلاً :

ـ وأنا رهن إشارتك .

مال عليه ، يهمس :

ـ سنقوم معًا بعملية استفزازية .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يكرر في عصبية :

ـ عملية استفزازية .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ نعم يا (أكرم) ... سنسعى لاستفزاز الذين صنعوا هذا الشيء ؛ حتى نجبرهم على ما نريد .

أمسك (أكرم) مسدسه في حركة غريزية ، وهو يقول :

ـ وماذا نريد بالضبط ؟!

مال (نور) نحوه أكثر ، مضيفًا في حزم :

ـ أن يكشفوا عن وجوههم .

وتراجع (أكرم) بكل الدهشة ، فقد بدا له أن الفكرة مجنونة ...

مجنونة تمامًا ...

* * *

جرت الحركة على قدم وساق بكل النشاط والهمة ، في ذلك الجزء ، من طريق (مرسى مطروح) الجديد ؛ لبناء ما يشبه القوس الهائل ، من أجزاء إليكترونية كبيرة وسط الطريق ، وراح الدكتور (صــفوت) يتحرك في المكـــان في حيوية ، وهو يلقي أوامره وتعليماته هنا وهناك ، قبل أن يتجه إلى عربة الفريق ، التي تم تجديدها بالكامل ، ويقول لـــ(نشوى) :

ـ أعتقد أنه أسرع بنــاء ، في تاريخ ســلاح المهندسين المصريين يا (نشوى) .

لفت (سلوى) ، وهي تعمل على جهازها بكل الهمة :

ـ المهم أن يؤدي عمله كما ينبغي .

أجابتها (نشوى) في حزم :

— المعادلات كادت تكتمل ، وبعد أقل من نصف الساعة ، سيمكننا إعادة إنتاج تلك الفجوة .

مطَّ الدكتور (صفوت) شفتيه ، وهو يهز رأسه ، قائلاً :

— هل تدركين أن تشغيل هذا القوس ، يستلزم طاقة نووية ، تكفى لإنارة (مصر) كلها لأسبوع كامل ؟!

أجابته وهى تواصل عملها فى سرعة :

— كل ما سنحتاج إليه هو ثلاث دقائق على الأكثر .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

— هذا لا يعنى أن تحيا (مصر) كلها فى الظلام ، لثلاث ساعات على الأقل .

تنحنح (رمزى) ، وهو يقول :

— وفقًا لما سمعناه من (أكرم) ، العائد من المستقبل ، فهذا أفضل من أن تواجه (مصر) كلها ، بعد بضع سنوات ، ظلامًا أبديًا .

غمغم الدكتور (صفوت) :

ـ هذا صحيح .

ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فقال عبره فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

بدا على وجهه مزيج من الاهتمام والتوتر ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن يقول فى حزم ، جعل توتره واضحًا :

ـ هذا يقلب المفاهيم كلها رأسًا على عقب !

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟!

وأخبرهم الدكتور (صفوت) بما بلغه ...

وكان على حق تمامًا ...

فما أبلغوه به ، كان يقلب الأمور رأسًا على عقب ...

تمامًا ...

* * *

شعر (نور) بوخز عجيب يسرى فى جسده ، وهو يتحسس جدار الطاقة ، المحيط بذلك العالم الافتراضى ، وقال وصوته يرتجف ، على الرغم منه :

— العلماء كانوا على حق ... إنها مستعمرة اختبارية .

سأله (أكرم) ، وهو يتلفت حوله فى توتر ، ممسكًا بمسدسه :

— لماذا يرتجف صوتك إذن ؟!

سحب (نور) يده ، وهو يقول ، وقد استعاد صوتُه قوتَه :

— إنها الذبذبة الفائقة لجدار الطاقة ، التى تجبرنى على هذا .

قال (أكرم) ، وهو يراقب ما حوله فى حذر :

— قذائف الهليوكوبتر لم تستطع اختراقه ، فماذا تتوقع منا أن نفعل .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

— لا شىء ...

سأله (نور) ، دون أن يلتفت إليه :

— لو أنك فى موضع من صنعوا هذه المستعمرة الاختبارية ، هل كنت ستكتفى بوجود حاجز الطاقة فحسب ؟!

سأله (أكرم) فى حذر :

— ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) :

— أعنى أنك كنت ستراقب تجربتك طوال الوقت بالتأكيد .

غمغم (أكرم) ، محاولاً فهم ما يرمى إليه (نور) :

— بالتأكيد .

وهنا تراجع (نور) بضع خطوات ، ثم رفع عينيه إلى أعلى ، وهتف :

— أعلم أنكم تراقبوننا .

تراجع (أكرم) بدوره فى دهشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

— (نور) ، صوتك هذا سيجذب إلينا كل حيوانات وزواحف التجارب هنا .

لم يبد أن (نور) قد ... وهو يواصل هتافه :

— أنتم تروننا وتسمعوننا ، ولكننا لم ولن نكون جزءًا من تجاربكم هـذه ، فنحـن بشر ، إن كنتم تعلمون ما نحن عليه ، وعلى عكس كل حيوانات وزواحـف تجاربـكم ، نمتلك شيئًا لم تختبروه بعد ...

غمغم (أكرم) فى عصبية :

— (نور) ، لسنا نحمل ذخيرة كافية ، فيما لو ...

بتر عبارته ، عندما سمع صوت (نور) يرتفع كثيرًا ، ويهتف :

— الإرادة .

اتسعت عينا (أكرم) مع الكلمة ، التى سرت فى كيانه كله ، على نحو جعله يلقى كل مخاوفه خلف ظهره ، ويعتدل فى وقفة منتصبة حازمة ، وهو يغمغم :

— نعم ... نحن نمتلك الإرادة .

كان (نور) يتابع :

— وإذا أردتم اختبارنا بالفعـل ، أو دراستنا على نحـو جيد ، فعلينا أن نتبادل المعرفة معًا ، وإلا فسنلقنكم درسًا ، فيما يمكن أن تفعله الإرادة ، فى مواجهة القوة .

هتف (أكرم) بدوره ، وهو يلوح بمسدسه :

— وستنتصر الإرادة على القوة ، سترون .

شد (نور) قامته أكثر ، وهو يقول فى حزم :

— الأهم أن كل دراساتكم لن تعطى نتائج صحيحة ؛ هنا لأننا فى بيئة تختلف عن البيئة التى نحيا فيها فى المعتاد .

عاد (أكرم) يتلفت حوله ، وهو يقول :

— تختلف تمامًا ، بالتأكيد .

صاح (نور) فى قوة أكبر :

— هيا ... اكشفوا عن وجوهكم ... أرونا من أنتم ، نرِكم من نحن ، هيا .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

— (نور) ... هل تعتقد أن كلماتك هذه يمكن أن ...

قبل أن يتم عبارته ، دوت قرقعة فى المكان ...

وتراجع (نور) و(أكرم) بحركة حادة ، مع ذلك الجسم ، الذى بدا وكأنه قد نبت فجأة من الفراغ ...

واتسعت عيونهما عن آخرها ...

فبهذا لم يعد الأمر مفهومًا ...

أبدًا .

* * *

11 ـ يد بيد ...

« انهيار خلوى ... » ...

نطقها الدكتـــور (صفوت) فى انفعال ، فالتفت إليه الكل فى تساؤل ، وغمغمت (نشوى) فى توتر :

ـ أتعنى ما أتصوره يا دكتور (صفوت) ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ إنه لم يكن (أكرم) عالمنا .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهتفت (نشوى) :

ـ مستقبله ليس مستقبلنا إذن !

أما (سلوى) ، فقد انهارت على مقعدها ، وامتقع وجهها فى شدة ، وهى تغمغم فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! ... يا إلهى !

استدار إليها الكل ، وقال (رمزى) ، الذى أدرك على الفور سر توترها :

– بديل (أكرم) هذا ظهر ، بعد اختفاء (نور) بساعات قليلة ، ولا أحد منا يدرى ، كيف تسير القواعد الفيزيائية ، حيث نقلت تلك الفجوة (نور) و(أكرم) ، وربما لا ينطبق عليهما وعلى الآخرين ، نفس ما ينطبق على من أو ما يصل إلى عالمنا .

قال الدكتور (صفوت) فى حزم :

– أنا واثق من هذا .

هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

– ربما لست واثقة من هذا ، ولكننى شديدة الثقة فى أمر واحد .

ثم مالت نحو أمها ، مكملة فى حزم :

– أنه علينا أن نعمل بأقصى طاقتنا وجهدنا ، وليس علينا أن ندرك النجاح ، الله سبحانه وتعالى وحده ، من يقرر هذا .

مسحت (سلوى) دموعها ، وهى تغمغم :

– ونعم بالله .

وعادت تستدير إلى حاسوبها المتطور ، مكملة :

– دعينا نكمل عملنا ، وليقض الله سبحانه وتعالى أمرًا كان مفعولاً .

راحت وابنتها تعملان فى سرعــة ، فى حيــن مال الدكتور (صفوت) على (رمزى) هامسًا :

– ماذا أصابها ؟!... إنها المرة الأولى ، التى أرى فيها (سلوى) منهارة إلى هذا الحد .

صمت (رمزى) لحظات ، قبل أن يغمغم :

– هل تريد رأيى كخبير نفسى ؟!

أجابه فى اهتمام :

– بالتأكيد .

صمت (رمزى) لحظة أخرى ، ثم أجاب فى خفوت :

– لست أدرى .

تراجع الدكتور (صفوت) فى دهشة ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ...

مطلقًا ...

* * *

ضوء قوى تفجر فجأة ، فى سماء ذلك العالم الوهمى ...

ضوء اخترقه جسم يتحرك بسرعة خرافية ...

طائرة مقاتلة ...

نفس تلك المقاتلة ، التى عبرت الفجوة إلى عالمنا من قبل ...

وبكل الدهشة ، حدَّق (نور) و(أكرم) فى المقاتلة ، التى دارت حولهما مرتين ، قبل أن تبتعدَ مائة متر منهما ، ثم تبدأ الهبوط عموديًا ؛ لتستقر فى النهاية على أرض العالم الوهمى ..

كل ما تعلَّق به بصرا (نور) و(أكرم) ، وهو علم (مصر) ، على ذيل المقاتلة ، والمطبوع بمادة لامعة ، لم يشهد أحدهما مثلها من قبل ...

وفى شىء من التوتر ، غمغم (أكرم) :

ـ أهو منا يا (نور) ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يجيب :

ـ إنه كذلك .

وثب الطيار من مقاتلته ، وخلع خوذته الصغيرة ، وهو يقول فى غضب متوتر :

ـ لقد عدت مرة أخرى!! ... أليس هناك فكاك من هذا الفخ العجيب .

قالها ، ثم وضـع خوذته تحـت إبطه ، واتجـه فى حذر نحـو (نور) و(أكرم) ، وهو يكمل فى توتر :

ـ هل علقتما هنا مثلى ، أم ...

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدق فى وجه (نور) ، على نحو جعل (أكرم) يمسك مسدسه ، قائلاً فى عصبية :

ـ مع أول بادرة ، سأطلق النار عليه .

ولكن الطيار غمغم فى توتر :

ـ يا إلهى !... يا إلهى !

ثم شد قامته ، وتحرَّك فى خطوة عسكرية سريعة ، حتى صار قيد ثلاثة أمتار فحسب منهما ، وقال محدقاً فى وجه (نور) :

ـ رباه !... أأنت من أعتقد أنك هو ؟!

وعلى الرغم من عصبية (أكرم) ، أجاب (نور) فى هدوء :

ـ أعتقد هذا .

انتصب الطيـــار فى وقفـــة عسكرية صارمة ، وأدى التحية العسكرية فى قوة واحترام ، وهو يقول بصوت متهدج :

ــ لا يمكننى أن أصدّق أن القدر قد جمعنى بك أيها القائد !!.. وأين ؟! فى مكان أجهل ماهيته ، أو مكانه ، أو زمانه ..

سأله (نور) فى هدوء :

ــ كيف وصلت إلى هنا يا ...

أجاب الطيار فى سرعة :

ــ (مدحت) ... الرائد (مدحت مدكور) ... من قواتك الجوية أيها القائد .

التقى حاجبا (نور) ، فى شىء من الدهشة ، فى حين غمغم (أكرم) فى عصبية :

ــ قواته الجوية ؟!

ابتسم الطيّار (مدحت) ابتسامة مرتبكة ، وهو يغمغم :

ــ أقصد القوات الجوية المصرية .

ثم هزّ كتفيه ، مردفًا فى ارتباك :

ــ ولكن لأن القائد (نور) هو من يقود مصر .... فى ز بالطبع ، فقد اعتدت ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فهزّ كتفيه فى صمت وارتباك ، حين هتف (أكرم) :

ــ هل تدرك ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) ، فتابع فى حماس :

ــ معناه أننا سنعود إلى زمننا .

تطلّع إليه (نور) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ هذا لو أن الرائد (مدحت) ينتمى إلى عالمنا يا صديقى .

كان (مدحت) هو من أصيب بالصدمة ، حتى أنه هتف ف شحوب :

ــ ماذا تعنى أيها القائد ؟!

استدار (نور) إليه ، قائلاً :

ــ الفجوة التى عبرتها أيها الرائد ، ليست فجوة عادية ، بل هـ فجوة زمكانية ، بين أبعاد متوازية مختلفة ... لقد نقلت قبلك

فارسًا مملوكيًا من عالم آخر وزمن آخـــر ؛ لذا فلا يوجد دليل واحد ، على أن كلينا ينتمى إلى العالم نفسه ، أو التاريخ نفسه .

صمت (مدحت) لحظات مصدومًا ، ومحاولاً استيعاب ما سمعه ، قبل أن يتنحنح قائلاً :

ـ أيًا كان الأمر ، وفى كل الأحوال ، أنت القائد (نور) ، سواء فى عالمى ، أو أى عالم آخر .

ثم عاد يؤدى التحيـــة العسكرية فى قـــوة ، مكملاً فى حزم عسكرى :

ـ وأنا الرائد (مدحت) ، فى خدمتك أيها القائد .

غمغم (أكرم) فى خفوت :

ـ مدهش ، صرت قائد كل العوالم يا (نور) .

أما (نور) ، فربت على كتف (مدحت) ، قائلاً :

ـ استرح أيها الرائد ، وانضم إلينا ، فهناك الكثير والكثير لنتحدث عنه .

ومرة أخرى ، أدى (مدحت) التحية العسكرية ...

وبمنتهى القوة ...

* * *

« قوس الطاقة اكتمل ... » ...

قالها الدكتور (صفوت) فى توتر ، شعر به (رمزى) واضحًا ، فى حين لم تنتبه إليه (سلوى) أو (نشوى) ، والأخيرة تقول فى حماس :

ـ المعادلات أيضًا اكتملت ... نستطيع البدء فى أية لحظة .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ الأفضل أن نبدأ الآن ... كل دقيقة لها ثمنها .

ازدرد الدكتور (صفوت) لعابه ، وهو يقول :

ـ لا يمكننا البدء ، قبل اثنتين وعشرين دقيقة من الآن .

التفتت إليه (سلوى) فى توتر ، هاتفة :

ـ ولماذا التأخير ؟!

تطلع إليها الدكتور (صفوت) فى صمت ، فى حين أجابتها (نشوى) :

— حتى يتم شحن بطاريات الطاقة الأساسية ، اللازمة لتشغيل القوس .

هزّت (سلوى) رأسها فى عصبية ، فتبادل (رمزى) نظرة صامتة مع الدكتور (صفوت) ، الذى تنحنح قائلاً :

— سأشرف على شحن البطاريات ؛ حتى يمكننا أن نبدأ ، فور اكتمال شحنها .

ما إن غادر عربة الفريق ، حتى سأل (رمزى) (سلوى) فى جدية :

— ماذا أصابك يا (سلوى) ؟!... أنت شديدة التوتر والعصبية هذه المرة !!

ازدردت (سلوى) لعابها فى صعوبة ، ثم التفتت إليه ، قائلة والدموع تغرق وجهها :

— إننا نتحدث هنا عن زوجى يا (رمزى) ... زوجى الذى أحببته وأحبه ، كما لم أحب إنساناً من قبل ، والذى أخشى أن أفقده ، أو أقضى عمرى وأنا أجهل مصيره ، وأبكيه كل يوم .

مال (رمزى) نحوها ، قائلاً :

— ليس بالتوتر والعصبية سنستعيده يا (سلوى) .

أمسكت (نشوى) يد أمها ، قائلة فى حزم :

— وسنستعيده يا أمى .

وأشارت إلى قلبها ، مستطردة :

— أشعر فى أعماقى بهذا .

مسحت (سلوى) دموعها ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تقول :

— بدأت تتحدثين مثل (أكرم) ... بالمشاعر وحدها .

أشارت (نشوى) إلى جهازها ، قائلة فى حزم :

— وبالعلم أيضاً يا أمى ... لقد انتهيت من كل معادلاتى ، ووضعت برنامجاً محكماً ، وبضغطة زر واحدة ، سيعمل قوس الطاقة على إعادة كل الظروف الكهرومغناطيسية ، للفجوة التى ابتلعت الجميع .

غمغمت (سلوى) :

— ولنأمل أن يستوعبوا ما يحدث .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت بصوت مرتجف :

— وأن يكونوا على قيد الحياة .

قالتها ، فران الصمت على العربة تمامًا ...

هذا لأن السؤال انطلق فى عقول الجميع ...

هـل ، لو نجحت تجربتهم ، سيجدون (نور) و(أكرم) والآخرين على قيد الحياة بالفعل ؟!...

هل ؟!...

* * *

أدار الرائد (مدحت) عينيه فيما حوله ، فى دهشة بالغة ، قبل أن يقول :

ـ أكل هؤلاء جذبتهم الفجوة أيها القائد ؟!

ربت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ كل هؤلاء ضحايا الفجوة أيها الرائد .

اعتدل رئيس فريق العلماء ، وهو يقول :

ـ ليست فجوة فى الواقع أيها القائد ... تلك الفجوة كانت مدخلاً لثقب دودى(*) ، يتفرع إلى عدة اتجاهات ، منها الاتجاه الذى أتى بنا إلى هنا ، واتجاهات أخرى ، إلى عوالم وأزمنة مختلفة .

(*) الثقب الدودى : هو عبارة عن ممرات دودية افتراضية ، توجد داخل الثقوب السوداء ، وهى حتى الآن فرضية رياضية بحتة ، تسمح للمسافر عبرها أن يخرج إلى كون آخر، أو زمن آخر .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ أهو ثقب يقود إلى ديدان عملاقة أم ماذا ؟!

حدق فريق العلماء فيه فى دهشة ، فى حين ابتسم (نور) وربّت على كتفه ، ثم سأل (مدحت) :

ـ تقول إنك قد عدت إلى هنا ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

التقط (مدحت) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ عنـدما وجدت نفسى فى عالمكم أصابنى الذهول ، وخاص
وأن مقاتلاتكم القديمة كانت تحمل علم (مصر) .

هتف قائد الهليوكوبتر فى غضب مستنكر :

ـ قديمة ؟!

أشار إليه (نور) بالصمت ، فأطبق شفتيه فى غضب ، فى حي

تابع (مدحت) :

— ولكن أجهزة الرصد فى مقاتلتى تعـد بالنسبة لكم شديدة التطور ، لذا فقد سجلت بيانات الرحلة كلها ، ولكنها لم تستطع إعادة إنتاجها على نحو دقيق ، و ...

قاطعه أحد العلماء فى لهفة :

— هل علمت أجهزتك أين نحن ؟!

أشار (مدحت) بسبابته ، مجيبًا :

— كل ما أمكننى أن أعرفه ، عندما فوجئت بنفسى هنا ، هو أنى داخل عالم وهمى ... مستعمرة صناعية ، أمامها كيان ما ، أرضى أو غير أرضى ؛ لدراسة كائنات من أزمنة مختلفة ، وعوالم مختلفة ... وعندما درت بمقاتلتى حول ذلك العالم الوهمى ، أدركت أنه محاط بغلاف نصف كروى من الطاقة ، يستحيل اختراقه ، وهو إما يمنع الكائنات هنا من الخروج ، أو يحميهم من الجو الخارجى ثم أنه يعمل على الحفاظ على التماسك الخلوى لمن داخله ، مهما اختلف منشأهم ...

تساءل رئيس فريق العلماء فى قلق :

— أى جو خارجى ؟!

نقل (مدحت) بصره إليه ، وهو يسأله فى دهشة :

— أتعنى أنكم لا تعلمون أين نحن بالضبط ؟!

أجابه التساؤل القلق ، المطل من عيون الجميع ، فاعتدل مكملاً :

— أيها السادة ، نحن على مستعمرة شديدة التقدم ...

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

— على القمر (فوبوس)(*) ...

وكانت صدمة ..

عنيفة ....

* * *

« اكتمل الشحن ... » ...

ارتجف جسد (سلوى) ، عندما نقل إليها جهاز الاتصال عبارة الدكتور (صفوت) ، فأدارت عينيها إلى (نشوى) ، قائلة :

— الآن .

(*) فوبوس : هو أحد قمرى كوكب المريخ ، الشهير بالكوكب الأحمر ، رابع كوكب فى المجموعة الشمسية بعدًا عن الشمس ... وكلمة (فوبوس) تعنى (الخوف) فى اللغات القديمة ، أما قمر المريخ الثانى فاسمه (ديموس) أى (الرعب) .

غمغمت (نشوى) ، فى انفعال مباشر :

ـ الآن يا أمى .

كان التوتر يعصف بنفسيهما ، وبنفس (رمزى) أيضًا ، فى تلك اللحظة الحاسمة ...

والسؤال عاد يطرح نفسه على عقول ثلاثتهم فى شدة ...

هل ستنجح محاولتهم ؟!...

وهل سيجدون الجميع على قيد الحياة ؟!...

هل ؟!...

وبكل ما يعتمل فى نفسها ، التقطت (نشوى) نفسًا عميقًا ، و ...

وضغطت زر إطلاق البرنامج ...

ولثوان ، بدا وكأن ذلك القوس الهائل لم يستجب ...

ولكن الأضواء انطفأت كلها فى (القاهرة) ...

ثم (الإسكندرية) ...

وبعدها المحافظات البحرية ...

ثم القبلية ... .

وعبـر القـوس الهائل ، انطلقت شرارات كهربية ، أشبه بصواعق تنبعث من الأرض ، ثم تمتـزج ببعضها البعض ، وتتشابك بدوى هائل ...

واتسعت عينا (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـ ترى هل ؟!...

قبل أن تستوعب هى نفسها سؤالها ، دوت فرقعة قوية فى المكان ...

فرقعة ارتجت لها عربة الفريق فى قوة ، كاد (رمزى) معها يفقد توازنه ...

ثم اتسعت عيون الجميع ، عندما ظهرت تلك الفجوة السوداء داخل القوس الهائل ...

وبكل انفعالها ، هتفت (سلوى) :

ـ استجب يا (نور) ... استجب أرجوك .

وراح قلبها ينبض بكل القوة والعنف ...

كلها ...

بالفعل ...

* * *

مضت ثوان ، امتقعت فيها وجوه الجميع ، بعد أن ألقى (مدحت) قنبلته ، وحمل صوت رئيس فريق العلماء كل شحوبه ، وهو يقول :

ـ (فوبوس) ... يا إلهى !

اندفع عالم آخر ، يقول :

ـ مستعمرة (فوبوس) هى مشروع طرحناه كفرضية ، منذ خمس سنوات تقريبًا ، وربما ...

لم يتم عبارته ، ولكن الجنود تبادلوا نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول قائدهم ، ناقلاً توترهم :

ـ ماذا علينا أن نفعل الآن أيها القائد ؟!

لم يجبه (نور) على الفور ، ولكن (أكرم) سحب مسدسه ، ولوح به ، هاتفًا فى عصبية :

ـ سنقاتل حتى آخر قطرة دم .

سأله أحد الجنود :

ـ نقاتل من ؟!..

وأضاف آخر فى توتر :

ـ ولنربح ماذا ؟!

مع سؤاله ، دوت فرقعة مكتومة فى المكان ، فالتفت الكل إلى مدخل النفق ، ورفع (مدحت) جهازًا صغيرًا إلى عينيه ، وهو يقول :

ـ شىء ما عبر حاجز الطاقة .

شمل التوتر الجميع ، وهتف (أكرم) بالجنود :

ـ استعدوا للقتال .

أما (نور) ، فقال فى توتر :

ـ كانوا يراقبوننا بالفعل .

مع نهـاية قوله ، بدا عبـر فتحـة النفق ، ما يشبه فقاعة من الضوء [illegible] النفق لحظة ...

ثم أطلقت نحوه أشعة ما ...

ودوى انفجار عند مدخل النفق ...

وانهارت بعض الصخور ...

وصرخ (أكرم) فى الرجال :

ـ لقد بدأ القتال .

اندفع فريق الجنود نحو مدخل النفق ، وراح يطلق نيرانه نحو تلك الفقاعة الضوئية ، إلا أن كل النيران انحرفت عنها فى عنف ، جعل (نور) يقول فى حزم :

ـ إنها محاطة أيضًا بغلاف من الطاقة ...

ومرة أخرى ، أطلقت تلك الفقاعة الضوئية أشعتها ...

ودوى انفجار آخر ...

وسقط بعض الجنود ...

ولكن الذين بقوا ظلوا يقاتلون فى بسالة ، على الرغم من أن طلقاتهم كلها تنحرف عن تلك الفقاعة الضوئية فى عنف ...

ووسط القتال العنيف ، هتف رئيس فريق العلماء ، وهو يرصد شيئًا ما على شاشته :

ـ هنـــاك طاقة كهرومغناطيسية أخـــرى ، تتولد هنـــا أيها القائد ... طاقة هائلة .

سأله (أكرم) فى قلق :

ـ هل يرسلون جيشًا لقتالنا ؟!

هزّ الرجل رأسه نفسًا ، وهو يجيب :

ـ إنها تبدو أشبه بتلك الطاقة التى صنعت الفجوة فى عالمنا .

اعتدل (نور) فى حركة حادة ، وهو يقول فى حماس :

ـ رباه !... إنهم يحاولون استعادتنا .

فى نفس الوقت ، الذى نطق فيه هذا ، بدا وكأن تلك الفقاعة الضوئية أيضًا قد رصدت هذا ، فقد توقفت فجأة فى الهواء ، ثم اندفعت تبتعد عن الكهف لمسافة مائتى متر تقريبًا ، ثم راحت تدور حول نفسها ، على نحو جعل (أكرم) يتساءل فى قلق :

ـ ماذا تفعل بالضبط ؟!

اتسعت عيناه ، وهو يحدق فى دائرة بيضاء كبيرة ، تتكون فى الهواء ، أسفل تلك الكرة الضوئية ، التى تدور فى سرعة أكبر ، وغمغم قائد الجنود من خلفه فى أمل :

ــ رباه !!... أهذا ما أظنه ؟!

ظهر (نور) خلفه ، وهو يقول فى حزم :

ــ إنه كذلك يا رجل ... إنهم يحاولون استعادتنا .

ثم التفت إلى الباقين ، هاتفًا :

ــ اتركوا كل شىء خلفكم يا رجال ... كل الأجهزة والمعدات يمكن تعويضها ... علينا جميعًا أن نتجه نحو تلك الفجوة البيضاء ، فهى على الأرجح سبيل العودة إلى عالمنا .

واستدار إلى قائد الجنود ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ــ سيعبر العلمـــاء أولاً ، وسنقوم بتأمين سبيل العبور لهم ، ثم ...

قاطعه (أكرم) ، وهو يلوح بمسدسه فى عصبية :

ــ لست أظن هذا سيكون سهلاً يا (نور) .

استدار (نور) فى سرعة ، إلى حيث تلك الفجوة البيضاء ، التى اكتمل ظهورها تقريبًا ...

ولحظتها فقط ، أدرك لماذا تدور تلك الفقاعة الضوئية حول نفسها ...

لقد كانت ، وفقًا لبرنامج مسبق ، تطلق نداء خاصًّا ...

نداء يستدعى كل حيوانات وزواحف المنطقة ، التى استجابت لما تم تدريبها عليـــه ، وأتـــت من كل صوب ، لتحيط بالفجوة البيضاء ، وتقطع الطريق بين (نور) و(أكرم) والآخرين ، وبين أملهم فى العودة إلى عالمهم ...

أملهم الأخير .

12 ـ الختـــام ...

مرت دقيقة كاملة ، والقوس الهائل يعمل بأقصى طاقته ، وتلك الفجوة السوداء ، التى صنعها تصدر قـدرًا هائلاً من الطاقة الكهرومغناطيسية ، التى احتواها القــوس هــذه المرة ، وفقًا لتصميمه ، مما سمح للدكتور (صفوت) بمتابعة شاشته الخاصة ، وهو يقول فى انفعال ، داخل عربة الفريق :

ــ هناك أجسام تقترب ...

سألته (سلوى) فى لهفة :

ــ أهم من ننتظرهم ؟!

ألقى نظرة أخرى على شاشته ، قبل أن يجيب فى قلق :

ــ كلا ... إنها أجسام ضخمة كبيرة .

تبادل الكل نظرة مغرقة فى القلق ، قبل أن يهتف الدكتور (صفوت) ، عبر جهاز اتصال خاص :

ــ فلتستعد كل القوات .

فور هتافه ، بدأ جيش صغير يتأهب لقتال مجهول ...

مقاتلات قوية ...

دبابات حديثة ...

مدافع ميدان ثقيلة ...

وثلاث فرق من جنود القوات الخاصة ...

كلهم كانوا يصوبون أسلحتهم فى تحفز ، نحو هدف واحد ...

الفجوة ...

فمع المعلومات ، التى تستقبلها شاشة الدكتور (صفوت) ، كان من المتوقع أن يعبر الفجوة ، فى أية لحظة ، جيش آخر ..

جيش من الكائنات العملاقة ...

المتوحشة ...

القاتلة ...

وفى قوة ، راحت قلوبهم جميعًا تخفق ، وتلك الكائنات تقترب ..

وتقترب ...

وتقترب ...

* * *

نظرة واحدة ...

نظرة حازمة ...

حاسمة ...

قوية ...

نظرة صامتة ، تبادلها قائد الهليوكوبتر مع الرائد (مدحت) ، المقاتل المستقبلى ...

نظرة حملت أبلغ مما يستطيع كل كلام الدنيا قوله ، و(نور) يتابع التفاف الحيوانات الهائلة حول الدائرة البيضاء ، قائلاً :

ـ إنهم يعلمون أن هذا سبيل عودتنا إلى عالمنا ، ويحاولون منعنا من بلوغه .

غمغم رئيس فريق العلماء فى توتر :

ـ هل تظن أن هذه الفقاعة هى طليعة جيشهم أيها القائد ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ كلا ... لســت أعتقد أنه هناك سواها هنا ... إنها بمثابة حارس آلى ، يحرس المستعمرة الصناعية ، ويحميها طوال الوقت ، وربما يرسل إشارات مستمرة لمن أنشئوها .

قال قائد العسكريين فى قلق :

ـ بما تفعله لن يمكننا بلوغ الفجوة البيضاء فى الوقت المناسب ، ولقد فقدنا عشرة رجال حتى الآن ، وما من سبيل لتدميرها .

مع نهاية قوله ، تقدم الرائد (مدحت) من (نور) ، وأدى تحية عسكرية قوية ، قبل أن يقول بمنتهى الاحترام :

ـ كــان منتهى الشرف أن أعمــل تحــت إمرتك مباشرة أيها القائد .

وتبعه قائد الهليوكوبتر ، الذى أدى التحية العسكرية بدوره ، هاتفًا :

ـ تحيا (مصر) .

نقل (نور) بصره بينهما فى توتر ، قائلاً :

ـ ما الذى يفترض أن يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه قائد الهليوكوبتر فى حزم :

ـ يعنى أننا كلنا فداء (مصر) ، التى ستنعم يومًا بقيادتك أيها القائد .

مع قوله ، اندفع الاثنان نحو مركبتيهما ، فهتف رئيس فريق العلماء :

ـ ماذا سيفعلان ؟!

أجابه قائد العسكريين فى حزم :

ـ سيؤديان واجبهما .

شاهد (أكرم) المقاتلة المستقبلية ، والهليوكوبتر تنطلقان ، فهتف بالجنود ، الذين يشاركهم قتالهم :

ـ القوات الجوية انضمَّت إلينا يا رجال .

هتف به أحد الجنود ، وهو يطلق نيرانه فى استبسال :

ـ السؤال هو : هل ستجدى ؟!

فور خروج المقاتلة والهليوكوبتر مـــن الكهف ، انفصلتا عن بعضهما البعض ، فاتجهت الهليوكوبتر نحو الكائنات العملاقة ،

التى تحيط بالفجوة البيضاء ، وراحت تمطرها بنيراها ، مما جعل (أكرم) يهتف بالجنود :

ـ العيون ... صوبوا على العيون .

أطاعه الجنود على الفور ، وراحوا يطلقون أسلحتهم نحو عيون الكائنات العملاقة التى ، وعلى الرغم من سقوط العديد منها ، لم تفك حصارها للفجوة البيضاء ، كما لو أنه هناك قوة تفوق الموت ، تجذبها لحصارها فى شدة ...

أما المقاتلة ، فقـــد هاجمت تلك الفقاعة الضوئية ، وراحت تمطرها بقذائفها المتطـــورة ، إلا أن هـــذا لم يمنع الفقاعة من استمرار الدوران ؛ لجذب كل الكائنات العملاقة لحصار الفجوة ..

وبكل انفعاله ، هتف (نور) :

ـ لسنا نملك الكثير من الوقت ... الفجوة إلى عالمنا لن تستمر إلى الأبد .

سمع قائد فريق الجنود يقول ، مشيرًا إلى السماء :

ـ إنه يفعلها .

أدار الكـل عيونهم إلى السـماء ، واتسعت عيونهم كلها عن آخرها ...

وحول حدود قبـة الطـاقة ، كـان المقاتل المستقبلي الرائد (مدحت) يقوم بدورة كاملة ، ليزيد من قوة اندفاعه ، قبل أن ينطلق بكل قوته نحو تلك الفقاعة الضوئية ، صارخًا :

ـ تحيا (مصر) عبر العصور .

وبدوى هائل ، ارتطم بتلك الفقاعة ...

وارتج العالم الوهمي كله بانفجار عجيب ، سطع معه ضوء مبهر ، غمر ذلك العالم كله ، وأصاب تلك الحيوانات بذعر شديد ، جعلها تعدو مبتعدة بأقصى سرعتها ...

ولثوان ، ومع الضوء المبهر ، غشيت أبصار الجميع ...

ثم استعادوا قدرتهم على الرؤية ، و(نور) يهتف :

ـ رباه !... (مدحت) ... رباه !

كانت الفقاعة الضوئية قد اختفت تمامًا ...

وكذلك مقاتلة (مدحت) المستقبلية ...

ولكن الفجوة البيضاء ظلت هناك ...

تنتظر ...

وكقائد بالفطرة ، كان (نور) أول من استعاد جأشه ، فهتف بكل قوته :

ـ سنبدأ عملية العبور فورًا ... المدنيون أولاً ، ثم العسكريون ، ثم ...

قبل أن يتم عبارته ، صدرت فرقعة عجيبة في المكان ...

فرقعة تشبه خللاً كهربيًا عنيفًا ...

ومع الفرقعة ، اهتزت تلك الصورة الوهمية لذلك العالم في قوة ...

واتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف :

ـ ربـاه !... إنه ... إجراؤهم الدفاعي الأخيـر ... سيزيلون حاجز الطاقة عن المستعمرة ...

وارتجف جسد رئيس فريق العلماء في قوة ...

فانهيار حاجز الطاقة ، يعني أن يصبح الجميع تحت جو القمر

الجو الذى لا يصلح لحياة البشر ...

على الإطلاق ...

* * *

« دقيقتان ، وسنضطر لإيقاف عمل قوس الطاقة ... » ...

قالها الدكتور (صفوت) بكل المرارة والأسف واليأس ، عبر صاله المباشر مع القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى قال فى زم :

— من يدرى ماذا يمكن أن يحدث خلال دقيقتين ؟!

أجابه الدكتور (صفوت) :

— كنا قد رصدنا اقتراب كائنات ضخمة ، عبر الفجوة الصناعية ، رصدنا فجأة موجة كهرومغناطيسية قوية ، بعدها اختفت كل ك الكائنات ، ولم نرصد اقتراب أى شىء آخر بعدها .

قال القائد الأعلى بنفس الحزم :

— سننتظر حتى اللحظة الأخيرة .

غمغم الدكتور (صفوت) :

— فى هذا نتفق يا سيدى .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كانت (سلوى) تقول فى توتر :

— الآن ماذا ؟!

غمغمت (نشوى) ، وقد بدأ التوتر يسرى فى جسدها :

— ليس أمامنا سوى أن ننتظر .

قالت (سلوى) فى حزم :

— وماذا لو عبرنا نحن إلى الجانب الآخر ؟!

اعتدلت (نشوى) فى توتر ، فى حين هتف (رمزى) مستنكرًا :

— ماذا تقولين يا (سلوى) ؟!

التفتت (نشوى) إلى أمها ، وهى تقول :

— سيكون عبورًا انتحاريًا ؛ فلسنا ندرى إلى ماذا يمكن أن يقودنا هذا .

أجابتها بكل الحزم :

ـ أنا مستعدة للقيام بأكثر الأعمال انتحارية ، لو أن هذا يعنى الأمل ، ولو واحد فى المائة ، فى استعادة زوجى .

حمل صوت (رمزى) انبهاره ، وهو يقول :

ـ إلى هذا الحد !!

غمغمت (نشوى) وهى تمسك يده :

ـ أنا لن أتردَّد لحظة فى القيام بالمثل ، لو أنك تواجه الخطر يا عزيزى .

ضغط يدها فى حنان ، فى حين قالت (سلوى) فى حزم :

ـ سيارتنا تم تصفيحها ، وأظنها تستطيع احتمال الانتقال .

قالت (نشوى) فى حزم :

ـ على بركة الله إذن .

وشد (رمزى) قامته ، فى حين ضغطت (سلوى) أزرار القيادة ، لتندفع عربة الفريق بكل سرعتها نحو الفجوة ...

الفجوة السوداء ...

المخيفة ...

وبكل قوة ، خفقت قلوب ثلاثتهم ، فى حين صرخ الدكتور (صفوت) مستنكرًا :

ـ ماذا يفعلون ؟!

كانت عربة الفريق تقترب من الفجوة ...

وتقترب ...

وتقترب ...

ولكن ، وعلى بعد عشرين مترًا من الفجوة ، ضغطت (سلوى) أزرار فرامل العربة بكل قوتها ...

وعادت قلوب الكل تخفق بمنتهى القوة ...

كل القلوب ...

وبكل القوة ...

فما حدث عند الفجوة ، فى هذه اللحظة ، كان يستحق هذا ...

أو ما هو أكثر ...

بكثير ...

* * *

« انطلقوا بأقصى سرعة ... » ...

صرخ (نور) بالعبارة فى صوت مرتفع ، فانطلق الجميع وفقًا للخطة التى وضعها مسبقًا ...

الجنود شكلوا صفين متوازيين ، ووجوههم إلى الخارج ، يصوبون أسلحتهم ، حماية لفريق العلماء ، الذى اندفع بين الصفين ، متجهًا نحو الفجوة البيضاء ...

وبينما يشرف (نور) و(أكرم) على هذا ، غمغم (أكرم) ملوّحًا بمسدسه فى حزم :

ـ عليك أن تعبر فورًا يا (نور) ، فأنت القائد .

شدَّ (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ لأننى القائد يجب أن أبقى حتى النهاية ، إلى أن يعبر آخر رجل يا صديقى .

شدَّ (أكرم) قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ سنبقى معًا إذن حتى النهاية .

أشار (نور) بسبّابته إلى أعلى ، قائلاً :

ـ قبة الطاقة ستنهار فى أية لحظة ، وعندئذ سيصبح الضغط داخل جسدينا يفوق الضغط المحيط بنا .... و ...

أكمل (أكرم) فى حزم :

ـ وسينفجر جسدانا ... أعلم هذا يا (نور) ... سبق وأن درسته فى مرحلة ما .

وضع (نور) يده على كتفه ، قائلاً :

ـ لذا أريدك أن ترحل يا صديقى ، قبل فوات الأوان .

ابتسم (أكرم) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ إذا كان رائد المستقبل قد ضحى بعمره ؛ لأنه يؤمن بأنك فقط يستحق الحياة يا (نور) ، فأى شرف أناله أنا ، إن مت إلى جوارك .

ثم وضع يده بدوره على كتف (نور) مستطردًا :

ـ قاتلنا معًا ، وانتصرنا معًا ، فإن لم يكن من الموت بد ، فإنه من الشرف أن نموت معًا .

شـد كل منهما على كتف الآخر ، وأعلنت عيونهما ما عجز لساناهما عن نطقه ...

وفى تلك اللحظة ظهر قائد فريق الجنود ، وهو يؤدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ الكل مستعد لعبورك أيها القائد .

شدَّ (نور) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره فى وقفة ثابتة ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ ستعبر بجنودك أولاً يا رجل .

ارتفع حاجبا قائد الجنود فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ ولكن أيها القائد ...

قاطعه (نور) فى صرامة آمرة قوية :

ـ أطع الأمر يا رجل .

توقف قائد الجنود يحدق فى (نور) لحظة ، صدرت معها فرقعة جديدة ، فصاح فيه (نور) :

ـ وبأقصى سرعة .

أدَّى الرجل التحية العسكرية فى قوة ، ثم أسرع عائدًا إلى جنوده ، وهو يلقى أمرًا ما ، عبر جهاز اتصال محدود ...

وأمام عينى (نور) ، وعلى الرغم من اعتراضهم على ترك القائد خلفهم ، بدأ الجنود فى عبور الفجوة ، بأقصى سرعة ممكنة ، ومع آخر من عبر منهم ، صدرت فرقعة أكثر عنفًا ، واستدار قائد الجنود يؤدى تحية عسكرية جديدة لـ (نور) ، قبل أن يختفى عبر الفجوة البيضاء ...

وفى نفس اللحظة ، ومع فرقعة جديدة قوية ، بدأت قبة الطاقة انهيارها ...

ولم يعد هناك ما يحمى البشر من جو (فوبوس) قارس البرودة ، قليل الضغط والجاذبية ...

لم يعد هناك ما يحمى منه ...

أبدًا ...

* * *

« أين (نور) و(أكرم) ؟!.. » ...

هتفت (سلوى) بالسؤال ، فى وجه قائد العسكريين ، الذى قال فى توتر ، عبر جهاز اتصال داخلى :

ـ لقـد أصرا ، هـو والسيد (أكرم) ، على أن يكونا آخر من يعبر .

صاحت به (نشوى) :

ـ ولكنهما لم يعبرا !!

بدا الرجل شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ كانت هناك قبة ما ، تحمينا من جو قاتل بالخارج ، وعندما غادرنا كانت تنهار ، و ...

وقبل حتى أن يتم عبارته ، عادت (سلوى) تضغط أزرار الانطلاق ، وتندفع بأقصى سرعتها بعربة الفريق ، نحو مركز الفجوة ...

وبكل هلعه ، صرخ الدكتور (صفوت) :

ـ لم تتبق سوى سبع وثلاثون ثانية فحسب ، قبل أن يتوقف القوس عن العمل .

ولكن نصف صراخه لم يبلغ أحدًا ...

فبكل سرعتها ، عبرت عربة الفريق تلك الفجوة ...

واختفت من عالمنا ...

تمامًا ...

* * *

مع بداية انهيار قبة الطاقة ، هبطت الهليوكوبتر على قيد مترين من (نور) و (أكرم) ، وهتف قائدها بكل توتره :

ـ أسرعا بالله عليكما .

ولم يضع (نور) أو (أكرم) ثانية واحدة ، فاندفعا نحو الهليوكوبتر ، ووثبا إليهـــا ، وأغلق قائدها أبوابهـــا ، و (نـــور) يهتف به :

ـ هل يمكن أن تصمد ؟!

أجابه قائد الهليوكوبتر ، وهو يرتفع بها في توتر :

ـ ليس طويلاً ، فهي ليست مؤهلة للعمل في هذا الجو .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يشاهد تلك الكائنات المتعددة ، في مستعمرة (فوبوس) ، وهي تسقط ، وتتلوى ألمًا ، ثم تتفجر أجسادها في مشهد بشع ، فغمغم بكل توتر الدنيا :

ــ يا إلهى !... يا إلهى !

هتف (نور) بقائد الهليوكوبتر :

ــ هل تعتقد أنه بإمكاننا بلوغ الفجوة ؟!

غمغـم الرجل ، وهــو يعــانى معاناة شديدة فى الانطلاق بالهليوكوبتر ، فى طقس (فوبوس) ، إذ راحت مراوحها تتجمَّد ، وتعجز عن الدوران ، حتى اضطر للهبوط بها ، على مسافة عشرة أمتار من الفجوة البيضاء ، وهو يغمغم فى يأس :

ــ معذرة أيها القائد ... لقد حاولت .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وربت على كتفه ، قائلاً :

ــ لا عليك يا رجل ، قمت بواجبك ولا شك .

ازدرد (أكرم) لعابه ، وهو يغمغم :

ــ الفجوة قريبة ... ألا يمكننا أن نعدو إليها ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كلا للأسف يا صديقى ؛ فما إن تفتح باب الهليوكوبتر ، حتى يختل توازن الضغط ، وتكون لديك ثوان معدودة ، قبل أن ...

لم يستطع إكمال عبارته ، أو لم يرد هذا ، ولكن ذهن (أكرم) استعاد مشهد الحيوانات التى تنفجر ، وغمغم :

ــ أراها نهاية واحدة فى كل الأحوال .

ثم أمسك مقبض باب الهليوكوبتر ، مستطردًا فى حزم :

ــ لذا فلست أمانع فى المحاولة .

لم يعترض (نور) ، وكأنه يوافق بصمته على المحاولة ، و...

وفجأة صدرت فرقعة قوية ...

ووثبت عربة الفريق عبر الفجوة ...

كان قد تم تصفيحها ، وتزويدها بنظام عزل كامل ، حتى إنها قد احتملت طقس (فوبوس) ، على الرغم من الجليد الذى تكوَّن فى سرعة ، على سطحها ...

وبكل دهشته ، هتف (أكرم) :

ــ مستحيل !

فى نفس اللحظة ، صرخت (سلوى) داخل العربة :

ـ ها هم أولاء .

انطلقت بالعربة نحو الهليوكوبتر مباشرة ، و(نشوى) تتعامل فى سرعة مع الأزرار الهولوجرامية لجهازها ، هاتفة :

ـ لابد أن نحيط تلك الهليوكوبتر بهواء ساخن ، يمنع تجمد أطرافهم ، عندما ينتقلون منها إلى عربتنا .

وهتف (رمزى) ، وهو ينظر إلى ساعته :

ـ وأن يتم هذا خلال أقل من عشر ثوان .

توازت العربة بالهليوكوبتر ، وحرصت (سلوى) على أن يكون باب العربة مواجهًا لباب الهليوكوبتر ، ثم صرخت بـ (نشوى) :

ـ الآن يا (نشوى) .... الآن .

مع هتافها ، ضغطت (نشوى) زرًا ، فانبعث من جانبى العربة موجات من هواء ساخن ، أحاطت بالهليوكوبتر ، فصاح (نور) برفيقيه :

ـ الآن .

فتح الطيار باب الهليوكوبتر ، ووثب الثلاثة ، تحت مظلة الهواء الساخن ، إلى باب العربة ، الذى أغلقته (سلوى) فور عبورهم ، وهى تهتف فى سعادة :

ـ لقد فعلناها ... لقد فعلناها .

كان (نور) و(أكرم) وقائد الهليوكوبتر يشعرون بآلام عنيفة فى جسديهما ، ولكن (أكرم) غمغم :

ـ وكنا نتحدث عن الأمور العجيبة !!

هتف (رمزى) :

ـ أمامنا سبع ثوان فحسب يا (سلوى) .

كان الجليد قد غطى عربة الفريق كلها ، حتى زجاجها الأمامى ، وحجب الرؤية تقريبًا ، ولكن (سلوى) استنفرت كل الطاقة الاحتياطية للعربة ، حتى تدور بها حول نفسها ، إلى أن بدا لها ضوء الفجوة البيضاء ، و(رمزى) يهتف :

ـ أربع ثوان فقط يا (سلوى) .

انطلقت (سلوى) بأقصى سرعـــة ، نحـــو الفجوة البيضاء ، والثوانى تتناقص فى سرعة ...

فى سرعة مذهلة ...

* * *

« إنها معجزة حقيقية يا (نور) ... » ...

قال القائد الأعلى العبارة ، وهو يبتسم فى ارتياح ، فشد (نور) قامته ، قائلاً :

ـ إنها كذلك بالفعل يا سيدى ... كنت قد أيقنت من الموت ، عندما وثبت عربة الفريق عبر الفجوة فجأة ...

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ زوجتك خالفت كل الأوامر والتعليمات من أجلك يا (نور) .

ابتسم (نور) بدوره ، وهو يغمغم :

ـ لولا هذا لما كنت أقف أمامك الآن يا سيدى ... لقد نجحت فى عبور الفجوة ، قبل ثانية واحدة من إغلاقها .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ ما رأيته عبر صور الأقمار الصناعية ، كان مذهلاً بحق أيها المقدم !!... كان أشبه بما يحدث فى أفلام المغامرات الخيالية ... الكل تصور أن الأمر قد انتهى ، وفجأة قفزت سيارة الفريق عبر الفجوة ، التى أغلقت خلفها مباشرة ... ثانية واحدة كان يمكن أن تصنع فارقًا هائلاً :

غمغم (نور) :

ـ الله سبحانه وتعالى أراد لنا أن نواصل العمل من أجل (مصر) يا سيدى .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ ولكن ألم تجد ما يشير إلى هوية من أنشئوا تلك المستعمرة العجيبة يا (نور) ؟!..

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب :

ـ كل ما أستطيع قوله : إنهم ليسوا من البشر حتمًا يا سيدى .

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ لقد احتفظوا بنا لدراستنا ... وكانوا على استعداد لهدم المستعمرة كلها ، حتى لا نغادرها على قيد الحياة ، ولو أنهم من البشر ، لما بذلوا كل هذا لدراسة بشر .

صمت القائد الأعلى لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

ـ كان هذا على القمر (فوبوس) ... أحد قمرى (المريخ) ، فى مجموعتنا الشمسية ، وأنت تجزم أن من فعلوها ليسوا من البشر .

ورفع عينيه إلى (نور) ، متسائلاً :

ـ ماذا سيحدث لمستقبلنا يا (نور) ؟!... هل سيفنى البشر ، أم سيكون هناك احتلال آخر للأرض ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ربما لا هذا ولا ذاك يا سيدى ... تلك المستعمرة كانت تضم عينات من مخلوقات ، نصفها بأنها سادت الأرض ، قبل أن يظهر عليها البشر بملايين السنين ... وتلك الفجوة زمنية مكانية ، ربما نقلتنا كلنا إلى ذلك التاريخ ، فى العصر الجوراسى ، قبل أن يظهر البشر ، وربما لهذا آثار ظهورنا انتباه من صنعوا تلك المستعمرة على (فوبوس) ... وربما لهذا أرادوا دراستنا ؛ لأنهم فى زمنهم ، لم يروا بشرًا من قبل .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

ـ تفسير جدير بالتفكير يا (نور) .

قال (نور) فى حزم :

ـ كل شىء نواجهه جدير بالتفكير يا سيدى ، وهذه عظمة العلم ، فمهما علمنا ، ومهما بلغت معرفتنا ، فنحن لم نؤت من العلم إلا قليلاً ، وستظل هناك دومًا فجوة ، تفصلنا عن المعرفة بشكلها الكامل ... فجوة ، كلما ملأناها بعلومنا ، كشفنا أنها ما زالت تتسع وتتسع ... فجوة هى دليل على عظمة الخالق عزَّ وجل .

عاد القائد الأعلى يومئ برأسه موافقًا ، وهو يقول فى خشوع :

ـ أنت على حق أيها المقدم ... هذه هى الفجوة الحقيقية .

وكان كلاهما على حق ...

تمامًا .

(تمت بحمد الله)